الطاسوس

تأملات في أحوال الوطن

نائل العدوان

الطاسوس

تأملات في أحوال الوطن

"القدر كان طيّباً معي، لم أكُن مجنوناً ولا أعمى، سوى أني ما زلت أريد رؤية الرغيف بسعرٍ أقل وحياة البشر بسعر أغلى"

رسول حمزاتوف

مقدمة

عندما يخفت صوت الناس حدّ الصمت، وتبدأ مساحات التعبير تضيق بالكلمة، وينتشر اللغط والغوغائية، وتنحصر أصوات المنطق أو حتى تختنق في حناجر أصحابها قلقًا وتوجسًا، وتلوذ الجموع بالمشاهدة بكل بلاهة وعدم اكتراث، وتنام الضمائر مغلوبًا على أمرها، تصحو النخبة لتقض المضاجع، وتوقد جذوة الحياة من جديد، وتبعث الروح في الأجساد المستكينة المستسلمة لقدرها، بعضهم بلغة مباشرة حادة تثقب أوزون الصمت، وبعضهم الآخر برمزية أكثر تأثيرًا وتنبيهًا وتحريكًا للحالة الراهنة. الكاتب نائل العدوان، هذه الروح المتمردة، اختار الأدب الرمزي والمقالة الساخرة؛ ليعبر عن ما يجيش بداخله من ثورة.

الطاسوس، خمسون مقالًا نوعيًا، مجموعة تأملات ناقدة من وحي الواقع، هي مسيرة قافلة الوطن التي ينتظر أهلها مخلصًا ما، مواطنًا ملهمًا مختلفًا، يحمل أحلامهم إلى مرافئ آمنة واعدة بمستقبل أفضل.

لا زلت أذكر عندما حدثني نائل العدوان عن نيته نشر مقالاته في جو 24، كان المقال الأول يحمل ذات اسم المجموعة (الطاسوس)، شرحه لي بتلقائية ساحرة، قائلًا أن الطاسوس هي صفة تنطبق على كل من أساء استخدام سلطته، بغض النظر عن موقعه، فقد يكون الطاسوس الأب المتجبر على زوجته وأبنائه، وهو التاجر الغشاش، أو المقاول الجشع، أو السياسي الذي يقامر ويساوم على مصلحة الوطن، أو النائب الذي يبيع ضميره من أجل كسب أصوات. هو الألم الذي يعتصر قلوبنا كلما راهنا على نجاح، وحولّه بعض المأجورين إلى قصص فشل ذريع. هو الكسل الذي يؤخر الحضارات ويدحرها، هو الواقع المرير والسقطات التي لا تغتفر، هو الضياع الذي لا دخل لنا به، والحرمان المزمن، وغياب الشعور بالعدالة.

تحمل مجموعة تأملات العدوان ثيمة خاصة، وتنوعًا في الطرح والأسلوب، فنسيج (الحدوتة) حاضر في مكنونات المقال أو القصة، وهو مكنون يخفي بين طياته طرحًا سياسيًا تارة واجتماعيًا تارة أخرى، وبين هذا وذاك، يجيد العدوان نكْءَ الجروح، وسبر الأغوار، والتركيز على المشاكل الاجتماعية في المدينة والقرية الأردنية، فأبو مرزوق المختار، الذي يمثل السلطة في أدنى حدودها، هو نفسه الشخصية التي تتضخم إلى عدة أشكال وطرق، ذات الطابع الجشع الذي لا يأبه بغيره، وهي الشخصية السائدة، والتي تتغول ويذيع صيتها وتتمدد سلطتها بطرق خسيسة كالمال السياسي أو المصالح الشخصية وغيرها.

يستخدم الكاتب أسلوبًا إبداعيًا جديدًا في طرح القضايا الراهنة، معالجات موضوعية عميقة، وبنفس الوقت يترك الحلول مفتوحة تحتمل البوح أو الصمت، هكذا يتركنا العدوان في معظم مقالاته، اندهاش يرتسم على المقل، نهايات مفتوحة، وقصص قابلة لتسقطها على واقعنا المؤلم، قصص قابلة للتأويل والتدبر والتفكر، أسلوب مشوق قريب من القص الأدبي، وهذا ليس غريبًا عليه، فهو الأديب الروائي والقاص الذي يتقن تشكيل الحروف ورسم الصور والاستعارات.

لقد وجه العدوان رسائل واضحة بنقد بناء؛ والهدف بطبيعة الحال هو تدارك الأخطاء قبل أن تستفحل إلى سرطان خبيث، يتسبب في تآكل جسد الدولة وفشل أجهزتها، وكلما قرأت مقالًا ضحكت مرة، وحزنت مرارًا على ما تؤول إليه الأمور. مؤلف العدوان الجديد، إضافة نوعية للمكتبة العربية، واعتبره مرجعًا مهمًا للأدب الساخر في عالم ثالث ضاق ذرعًا بالكلمة وأصحابها.

باسل العكور – رئيس تحرير موقع جو 24

ضفدع

منذ أن أدلى بإصبعه في فوهة الحبر وشعور بالإثم يستولي عليه.

لم يشأ خوض هذه التجربة برمتها، حاول التملص وتجاهل أمر الحبر، لكن "حاجب الصندوق" أصرَّ على ذلك مؤكدًا له أنها علامة على نزاهة الانتخابات، ناصحًا إياه بأن يرفع إصبعه عاليًا؛ دلالة على أداء واجبه الوطني بانتخاب الرئيس.

كانت الأنظار مصوبة نحو سبابته اليسرى التي تلوثت باللون الأزرق. أخرج منديلًا ومسح طرف إصبعه، لكن الحاجب ابتسم في وجهه هذه المرة قائلًا: السر يكمن بعدم الزوال، ألم أقل لك بأنها نزيهة!

لم يعر انتباهًا لكلام الحاجب وابتسامات الناخبين من حوله، كان عقله مشغولًا ببقعة الحبر التي أحس بدغدغتها المتزايدة وامتداد انتشارها لكامل إصبعه.

أخفى يده اليسرى عن المارة، أحس بأن عيونهم ستخترق جيب بنطاله لمعرفة نزاهة اقتراعه. كانوا يرفعون أياديهم اليسرى بشكل خادش للحياء، أظهروا أصابع السبابة المتلونة كمن يطلب أذنًا بالخلاص.

تأمل جليًا صور الرئيس الوحيدة التي علت ردهات السوق وسدت منافذ عبور المشاة، أحس بأن عينيه أيضًا تراقب جيب بنطاله بحذر شديد.

عند وصوله لبيته، كان اللون الأزرق قد تحول إلى لون أخضر داكن في جميع جوانب جسده، اللزوجة التي صاحبت تحول اللون جعلته غير قادر على الوقوف، انتفض عدة مرات محاولًا إسناد جسده إلى الجدار، لكنه كان يحس بخدر في رجليه وجاذبية للأرض تجعله يمشي على أربع أقدام.

صرخ بأعلى صوته طالبًا النجدة، لكن لسانه الذي استطال خارج فمه منعه من الكلام، تذكر أنه قد أدلى بآخر صوت للرئيس، والذي تربع فوق كرسيه حتى قبل موعد النتائج.

زحف حتى وصل إلى المرآة، هاله منظر المخلوق الذي انعكس أمامه، كان جسده قد تضاءل متحولًا بالكامل إلى اللون الأخضر، ملامح بلاهة انعكست فوق محياه، بينما تضخمت وجحظت عيناه وتكورت وجنتاه.

كيف سأخرج للناس بهذا الشكل! حدّث نفسه محاولًا الصراخ مرة أخرى.

ارتد صدى صراخه في حجرات منزله فشعر بالإحباط والقنوط وحاول البكاء، لكن الصوت ذاته تكرر ليملأ الفضاء، انتفض من مكانه فأحس بأنه يقفز بالهواء، سعل بقوة فعاد الصوت مضخمًا هذه المرة من خارج غرفته.

قفز بحرية نحو النافذة ثم نظر إلى الخارج. كان الشارع يعج بضفادع خضراء تشبهه، منتفخة البطون تبحث عن ذبابة، كانت تتنقل بتلقائية فوق أسطح السيارات والدكاكين وأكياس القمامة وصور الرئيس الباقية إلى الأبد.

2014 /7 /12

حزب الحيط الواطي

سأقوم بتأسيس حزب، إنه حق كفله لي الدستور، أجل، وسيكون أعضاؤه من أصحاب الحقوق المأكولة والمهضومة، ورواد المقاهي الباحثين عن عمل، والمقهورين من قلة الفلوس وغلاء المعيشة، وستكون العضوية مقيدة بشرط عدم كفاية الراتب آخر الشهر، وحصول مقدم الطلب على قرضين على الأقل من بنك معتمد. لكن ماذا سأسميه؟

من أستشير؟ هل أستشير رئيس الوزراء؟ ولم لا؟ فبابه مفتوح للجميع، وشعره الأبيض يشي بحكمة ربما تسعف في مثل هذه "الزنقات"، ناهيك عن حركة يديه التي تعجبني أيضًا، سأقترب منه بضع خطوات بدبلوماسية السفراء، وسأصافحه وأشد على يديه الذهبيتين اللتين صنعتا مجدًا للأردنيين جميعًا، وحتمًا سأتأمل أنامله التي تفيض سحرًا، وابتسامته التي تتسع كلما زدت بتمجيده.

- دولتك، نود تسمية حزب جديد لطبقة العمال المسحوقين الطفرانين ونريد مشورتك باسم مناسب. أقول بخجل.

سيتنحنح حينها، ومن المحتمل أن يعدل من جلسته، وسيشبك يديه ببعضهما كأخطبوط بحري، ثم يحلق بنظره إلى زاوية السقف، ماذا يفعل الرئيس؟ هل يفكر بهذه الطريقة؟ هل يصنع تاريخ بلد بأكمله بالنظر إلى الحائط؟ سأنظر إلى السقف أيضًا احترامًا لدولته، وعلى الأرجح فإن جميع المتواجدين في الغرفة سيحدقون بالسقف، سنتأمل السقف ونهيم به، سنسهم بصمت مهيب بسقف طلاؤه أبيض ومنخفض، ولا أستبعد أن يقوم وزير الإعلام ويلقي تصريحًا بأهمية السقف في مرحلة الربيع السقفي، وإذا تواجد وزير الأوقاف -لا سمح الله- في هذه اللحظات الحرجة، فإنه سيطلق فتوى حول السقوف الملهمة وحكمة الله في الأرض، يا الله كم هو ملهم لدولته.

- دولتك، أعطني أي اسم تريد، سأتخذ من كلمتك الأولى اسمًا لحزبي، فقط قل أي شيء.

وقد ينتفض عندها وزير الطاقة؛ منددًا باندفاعي وقلة صبري، فحكمة تدبير القرارات تحتم أن يطيل الرئيس التفكير بالسقف، لكن، لو ينبس بأي كلمة، تنفس دولتك، خذ شهيقًا، قل شيئًا، ولا يتكلم دولته ولا يفارق نظره الجدار، هل يعطي الرئيس إشارة بتأملاته، على الأرجح أنه يود أن تصلني رسالة ما، ما أغباني في هذه اللحظة! لا بد أن الحكمة تقتضي أن أتكلم أنا بخيارات:

- دولتك تقصد "سقوف"؟؟ ويهز رأسه برضى، (حامي، قربت).

- هل تقصد أن اسمي الحزب: "باطون"؟؟ لا ... يعكس اتجاه رأسه، (بارد إذن).

- "حيط"؟؟ ويومئ برأسه موافقًا.

- "حيط" ... مُتداعٍ، متآكل، "ملتعن أفطاسه"؟؟ ويمتعض دولته.

- قل دولتك، تقصد "حيط واطي"؟؟. فيبتسم الرئيس لي ثم يربت على كتفي ويتنفس الجميع الصعداء مندهشين من حكمة الرئيس.

ملاحظة: للحصول على عضوية حزب "الحيط الواطي"، مراسلة أمين الحزب على البريد الإلكتروني المبين أدناه، وإحضار ما يثبت حالة الطفر لديك.

2013 /9 /28

مداقرة

في دولة مثل اليابان الشقيق، فإن تأخير دقيقة للميترو إثر عطل فني -لا سمح الله- من الممكن أن يعطل مدينة بأكملها، ويصيب حركة السير بإرباك وفوضى، وقد يتسبب بحوادث سير وتعطيل مصالح اقتصادية، وتأخير شحنات تجارية ضخمة وخسارة ملايين (الينات)، وستكتب الصحف عندها عن التقصير وستقوم الدنيا ولا تقعد، ولربما تدخّل رئيس الوزراء (شنزو أبه) شخصيًا بخطاب اعتذار للشعب عن هذه "الغلطة الشنيعة"، وتكون الحادثة نقطة سوداء في تاريخ الحكومة لعقود قادمة.

ولكن، هل يتأخر المترو فعلًا؟

حتما لا! فالدقيقة ثمينة هناك، والوقت يقيم باحترام ولا يناقش اثنان بخلاف ذلك.

منذ مدة، وحديث شائك قض مضجعنا وأرق نومنا عن مطالب بتقديم الساعة، وموقف الحكومة المتشدد من التقديم، وإصرارها تثبيت التأخير بحجة توفير الطاقة، وكأننا فرغنا حلًا من كل المشاكل الأخرى، ولم يعد يؤرق يومنا وهمّنا غير قصة الساعة العالقة بيننا وبين الحكومة، فأصبحت سيرة التأخير على كل لسان وغدا الموضوع كما يقال عنه بالعامية "مداقرة"، فلو كان طلب الشارع التأخير، فستصر الحكومة على التقديم، ولو كان هَمّ المواطن التأخير، "فستداقره" الحكومة بكل راحة بال وتؤخر الساعة، وإن صمتَ هو راضيًا، فإن الحكومة ستستشيره بذلك، وعندما يعطي رأيه ستعمل عكس ذلك.

ولا أفهم ما الذي يضير حكومتنا الرشيدة إن أخرت الساعة يومًا أو قدمتها أسبوعًا كاملًا، أو حتى لو أوقفت "تكّاتها" كليًا عن الحركة، أو طاردت عقاربها واحدًا تلو الآخر. ما الذي ستخسره لو أضرب الناس عن استخدام الساعات بجميع أنواعها؟ أو حُرّم ارتداؤها في الشارع والمكتب والبيت، ووقت الأزمات والاجتماعات والأعياد والأعراس، وصار الوقت مهملًا كيتيم فقد والديه! هل ستتوقف حركة الإنتاج والمصانع

والقطارات والبواخر في محافظات المملكة وتتضرر البورصات جراء ذلك، وتغلق المناجم أبوابها وتمحل المزارع، ويقلع الطلاب عن دراستهم، والعلماء عن اختراعاتهم، والشعراء عن قصائدهم، هل سينهار الاقتصاد وتتكدس البضائع وتعلن البنوك إفلاسها ...!

هل سيحصل ذلك لا قدر الله.

حتما لا! ... فالوقت هنا يتم قتله لا استغلاله.

فبالله يا حكومة، اقسموا هذه الساعة "بالنص" بيننا وبينكم.

ويكفي، يكفينا "مداقرة".

2013/10/1

بع الجمل يا علي!

قالت ثم انكمشت نحو الجهة التي أناخ الجمل بقربها.

"بعه، واشترِ مهرًا جديدًا، فما حاجتنا إلى جمل كهل ورثته عن أبيك".

لعبت الفكرة برأسه قليلًا، واعتدل في جلسته ثم أمعن النظر بالجمل.

– هو كهل قليلًا، لكنه آخر ما تبقى من رائحة الأب، هل ندع سيرته جانبًا يا امرأة. ثم، ألا تخشين مما ستقوله القبائل عني؟ سيظنون بي الظنون وسأكون لقمة سائغة بأفواههم، قال ثم مسد بحنو فوق رأس الجمل.

لكنها عاودت الكرة مرة أخرى:

– ستسابق الريح بمهرك الجديد، ستفقأ عيون الحاسدين، ثم إن أباك قد مات والناس ما عادت تكترث لما نفعل، والفقر أشغلهم وفرقهم وأعمى عيونهم، بع يا رجل ولا تفكر بشيء آخر.

أعجبته الفكرة هذه المرة، وأحس بخفة من ثقل خوف جثم فوق صدره لسنوات عديدة، خوف ارتبط بوجود أبيه، ذلك الرجل الذي كانت تخشاه القبائل وتحسب له ألف حساب.

انتفض من مجلسه نحو الجمل المربوط، وحل قيده، ثم مضى به إلى سوق الجمال.

فرحت كثيرًا بالمهر الجديد، ولامت عليه خوفه المتكرر من فكرة البيع، فالقبائل متناحرة وضئيلة، وتوفر المال من البيع سيأمنه شرورهم وانقلابهم عليه.

– بع القطيع يا علي، فهو يستنفد الجهد والوقت، أنت سيد هذه القبائل ولا بدّ أن تسكن ببيت أوسع ويلزمك مال جديد. قالت وابتسامة تعلو شفتيها.

لم يؤنبه ضميره كما في المرة الأولى، لكن كلمات أبيه بالحفاظ على الحلال جالت برأسه مرارًا قبل أن يقتنع بفكرة البيع، وينصاع إلى رأيها، ويتخلص من القطيع، باعه دون أن يرمش له جفن، وإمعانًا باللامبالاة فقد أولم لكل أهل القبيلة وحفهم بالضيافة ببيت شعره الجديد الذي اتسع للجميع.

كان علي مخلصًا في البيع، دقيقًا في اختيار الوسطاء، كريمًا في صرف المال، باع كل ما وقعت عليه عيناه: الطريق الوحيد المؤدي للبلدة، الصخور الجاثمة في أعلى الجبل، عيون الماء الغائرة في السهل، كهوف الأجداد وذكرياتهم، أعشاش الطيور، حتى أغاني الأطفال الحزينة باعها علي بإتقان شديد.

تبدّلت أحواله غنًى وزاد فقر الناس من حوله، خاصة عندما تراكمت ديونهم، وارتهنت أراضيهم، وطغى هو وزوجته ببيع باقي أملاك القبيلة لغرباء لا يعرفونهم. كان العوز قد شتت شملهم وغمرهم الجوع والعطش.

خرجوا عن طورهم عندما باع آخر شبر في البلد.

تغير لون وجوههم ثم اعتصموا على قارعة الطريق أمام بيته، نظروا لأجسادهم الكالحة واستعاذوا منه ومن زوجته التي جلبت الفساد، ربطوا تعاويذ حول رقابهم وكتبوا فيها كرههم الشديد له، كبلوا أصابعهم ورفعوها بوجهه، ثم هتفوا بثورة تأخذ شره وتحصنهم من ألاعيبه:

– ارحل، لقد ملت قلوبنا منك، وجاء وقت الخلاص.

سمعهم من مجلسه، ضحك بصوت عال، أطلّ من شق بيته بفخر وزهو مصطحبًا زوجته، بدا واثقًا من نفسه ممتلئ الكرش، سدد سهام عينيه نحوهم فتدثروا بصمتهم.

رمى قطع النقود بوجوههم فتفرقوا كغثاء سيل، رمى مجددًا، فتحرشت بأعينهم جمال طلعته، تفرسوا به والتقطوا النقود كغربان جائعة، فركوا عيونهم، فكان نجمًا يداعب الأبصار، التقطوا المزيد فصار بدرًا، جثوا على ركبهم فاستحال لشمس تخشع لها القلوب.

تسربلوا حول بعضهم بعضًا كعجين لم يختمر بعد.عفن، تفوح رائحته ولا يخبز ولا يؤكل ولا يباع.

هتفوا بصوت يعرفه جيدًا: بع يا علي كما تشاء، بع، عليك السلام.

2013/11/18

قافلة الحرير

أعجبني اسم الصفقة التي أطلق عليها أصحابها بـ"الحرير"، وللوهلة الأولى فقد التبس الأمر عليّ؛ بأن الصفقة المشبوهة، والتي أنكر الجميع مسؤوليته عنها، لا تتعدى بضعة أمتار من القماش المحمل فوق ظهور الجمال الهائمة في الصحراء، وأن الأمر برمته مجرد تجارة خاسرة ستنقضي بانقضاء النهار، ليتبين لي فيما بعد أن الصفقة تتعلق بأموال الضمان الاجتماعي التي ستلعب دور القشة القاصمة لظهر البعير المسكين.

لكن دعونا لا نلتفت إلى القصة الحقيقية، ولنكمل القصة الملتبسة، والتي تقول أن القافلة التي حملت تجارة أهل الصحراء وأموالهم، قد غرر بها من قبل فرسان القافلة الأشاوس، والمؤهلين لحمايتها من اللصوص، والمؤتمنين على سرها، وتزيد حبكة القصة إيلامًا، عندما ينشق هؤلاء الفرسان، مشهرين غدرهم بوجه القافلة، ويعلنون طمعهم بالبضاعة المحملة، والتي تعود ملكيتها للشعب الطيب، وينبري بالطبع في هذا المشهد بعض الغيورين على قوت الشعب لقتال العصابة، وتدور معركة طفيفة يتبارز فيها الطرفان بأسلحة تقليدية، لتنتهي المعركة بحصار العصابة للقافلة، ويبدو أن أصحاب القافلة لم يندهشوا من هذا الانقلاب المفاجئ، بل إن بعضهم قد انضم إلى الجانب الشرير.

ويظهر رئيس العصابة من فوق حصانه الأسود، مستترًا بلثامه ومغرورًا بإنجازاته الشريرة، ولا يظهر من وجهه غير عينيه المتقدتين بطمع دفين، متصفحًا هاتفه النقال عن آخر أخبار الصحراء تارة، ورافعا سلاحه الأوتوماتيكي بوجه القافلة تارة أخرى.

وينتظر القوم لاهثين أن يظهر المخلّص الموعود؛ ليفك أسرهم من عصابة الأشرار، وتتجه أنظارهم إلى الأفق الذي ينتصف قمم الجبال في انتظار ظهوره، لكن بلا جدوى، وإمعانًا بالإصرار، يوقد الأشرار نارًا لإعداد الشاي الأخضر، منتظرين مع القوم الضعفاء خروج هذا المخلص، لكنه لا يأتي، ويتفاجَأ الجميع بعد ذلك برسالة اعتذار من المُخلّص

عبر (الواتساب) عن هذا التأخير؛ بدعوى انشغاله بإحدى قضايا الوطن. ويحدث أن يتنازل القوم بعد ذلك عن نوقهم وخيولهم وعيالهم وملابسهم الداخلية لصالح العصابة.

لا فرق بين القصتين سوى شيء واحد فقط؛ وهو أن المُخلّص في القصة الأصلية لم يكلف نفسه حتى ببعث رسالة اعتذار، رسالة واحدة فقط.

2013/12/5

سوبرمان في عمان

ما الذي يمنع سوبرمان من الظهور بالأردن؟

سؤال حيرني طويلًا، بحثت عن إجابة شافية عند الأصدقاء المهتمين، سألتهم بشكل جدي وبعيون اغرورقت بالدمع عن سبب تأخره، ترى، هل تاه على الطريق الصحراوي؟

أم أنه ما زال ينتظر تشغيل الباص السريع؟ أو لربما لم يستطع النهوض باكرًا بسبب التوقيت الشتوي؟ هل سيأتي ويعيد الفرحة إلى قلوب الشعب؟ هل سيجتث جذور الفساد ويرميها بعيدًا؟ هل سيأتي أصلًا؟

لم أحظ بإجابة مقنعة، وكانت الإجابات بأنه لن يأتيَ وبأنني أحلم.

لكن، ماذا لو تحقق الحلم، وجاء سوبرمان طائرًا بعباءته الحمراء و(أفرهوله) الأزرق فوق سماء الوطن؛ ليضع حدًا للأشرار وليحقق للشعب أمانيه؟،، ما الذي سيحدث حينها؟

حتمًا سنحتفي بالضيف بحفاوة بالغة، ونستقبله بالزغاريد والعيارات النارية. وما الذي يمنع يومها لو أولمنا له منسفًا بلحم وجميد بلدي، وغنينا له أغنية وطنية من العيار الثقيل؟ طبعًا، الحكومة سيكون لها نصيب الأسد بمرافقة البطل الخارق، وسيتم استقباله من قبل وفد رفيع المستوى وبحضور ممثلي الشعب، وسيقوم أعضاء مخضرمون من مجلس الأمة - وبمجرد أن يغسل البطل يديه من أثر (الزفر) - بعرض القوانين التالية عليه: قانون المطبوعات والنشر، قانون الضمان الاجتماعي، قانون المالكين والمستأجرين، قانون الكسب غير المشروع، وستتم المطالبة بتقاعد للنواب مدى الحياة مع جوازات سفر حمراء.

أما الحكومة، ممثلة برئيسها، فإنها ستوقع على مذكرة تفاهم مع البطل؛ لتخليصها من عجز الموازنة، وتخفيض المديونية الخارجية، وإنهاء البطالة والتضخم، والتعهد بإكمال

المشاريع الواقفة والتي يشوبها الفساد، واقتراح مسودة وطنية لتعديل التوقيت الشتوي بشكل ودّي. بالإضافة إلى مغلف سري يوضع بيد سوبرمان؛ لرفع علاوات السفر والتنقل ورواتب الوزراء.

وستعرض بعدها الأحزاب معارضتهم، والفلاحون مشاكلهم، وأصحاب المصانع شكاويهم، وطلاب المدارس والجامعات تذمرهم، وسواقي التكاسي والسرافيس والباصات خيبة أملهم، وأصحاب البسطات استياءهم، ومربو المواشي نقص مواردهم، والعمال انخفاض أجورهم. وفي نهاية الزيارة سينفي الناطق الرسمي باسم الحكومة تعرض الضيف لأزمة نفسية مؤكدًا بأنها فقط سكتة قلبية.

لم لا يظهر سوبرمان؟ سؤال لا يزال يحيرني!

11/ 12/ 2013

تحت السيطرة

أثبتت التجربة وبما لا يدع مجالاً للشكّ، أنَّ جميع خططي الشخصية التي أعددتها معتمدًا على أحلام الحكومة لمجابهة الثلجة الأخيرة، قد باءت بالفشل الذريع، وكوني قد أصغيت إلى (تطميناتها) بأنّ الأمور ستكون (تحت السيطرة)، وأن جاهزية فتح الطرق والأعطال والبنية التحتية والفوقية كلها مهيأة للمنخفض، وبحكم أنها قد تعاملت مع منخفضات أقوى واشد ضراوة، وأن هذا المنخفض مجرد (هلفوت) أمام الاستعدادات الجبارة التي تم إعدادها، فقد نمت ليلة العاصفة هادئ البال قرير العين. وكمواطن متمدن يثق بحكومته ويكن لها الاحترام، فقد امتثلت لنصائحها وإرشاداتها والمتمثلة بالبنود التالية:

1- لن يستمر المنخفض الجوي لأكثر من يومين وبالكثير ثلاثة ثم سينحسر: طبعًا، استمر المنخفض لمدة خمسة أيام متوالية ولم ينحسر بعد، ناهيك عن الصقيع والانجماد والزحاليق التي لم يتم توقعها في بداية الحلقة.

2- لا تقم بتكديس المواد الغذائية والخبز والمعجنات والغاز، فهي ستكون متوفرة في الأسواق التي يسهل الوصول إليها طيلة فترة العاصفة: عملت بالنصيحة بحذافيرها والتي ستناقض البند (4) لاحقًا، واشتريت خبزًا بنصف دينار قبل العاصفة، وبسبب (الدور) الطويل، فقد آثرت أن يكون خبز (حمام)، ولكنه نفد بعد أول يوم من الثلجة. أما الغاز فلم نر سيارة الغاز من اليوم الأول للثلجة ولغاية تاريخه.

3- لا تخرج من بيتك إلا للأمور الطارئة جدًا، وسيقوم التلفزيون الأردني ببث حلقات مسلسل (غوار الطوشة) كاملة لإلهائك عن الخروج: اضطررت لمغادرة البيت؛ كوني قد طبقت البند رقم (2) بعد نفاد الغاز والخبز والحليب. أما المسلسل فلم يتسن لي مشاهدته لانقطاع الكهرباء.

4- لا طرق مغلقة، فطرق المملكة كلها سالكة، وتقوم الجهات المسؤولة بفتح الطرق الفرعية والدخلات: أغلق الطريق الرئيسي بعد أقل من ساعة من بداية العاصفة.

5- لا تتردّد بالاتصال بغرفة الطوارئ والإبلاغ عن شكواك على الأرقام المبينة على الشاشة: لم أتردد للحظة في الاتصال ولمدة خمسة أيام متوالية! وأخيرًا أجابني أحدهم بأن ملاحظتي قد وصلت (وبكفي تلفونات، خلينا نعرف نشوف شغلنا).

6- حفاظًا على سلامة المواطنين، قرر رئيس الوزراء تأخير الدوام لغاية الساعة 11 صباحًا تجنبًا للصقيع: عند أول مفترق طرق، اكتشفت أن الصقيع يحتاج إلى الساعة الواحدة ظهرًا على الأقل ليذوب، وبفرق ساعتين عن توقيت الحكومة الصيفي، وعند وصولي للدوام كان قد شارف على الانتهاء.

7- شركات الكهرباء الخاصة هي المسؤولة عن إفشال خطط الحكومة الواردة في البنود السابقة: هذا البند أزال اللبس، وتبين لي من خلال الإيضاحات الحكومية أنَّ الخطط المعدة كانت كلها ناجعة لولا البند الأخير، وفيما عدا ذلك فإن كل البنود (تحت السيطرة).

العفو منك أيتها الحكومة.

سيطرة عالأكيد! مين قال غير هيك؟

16/ 12/ 2013

شتوة وعدّت

أما وقد نَفذت عمان من الشتوة الأولى، ومرت على خير بدون فيضانات أو انسدادات جديرة بالذكر في المصارف والبواليع، أو أي حالات انهيار وغرق للشوارع وللأنفاق، فإنني أود أن أنتهز هذه المناسبة المهمة لأهنئ أمين عمان والقائمين معه والقاعدين وحتى المتعطلين على حظهم الطيب في انقضاء هذه الشتوة.

لكن، كيف كانت أعصاب عمدة عمان وقت هطول المطر خلال الأيام الماضية؟ هل كانت هادئة؟ هل كان يضع رجليه في مياه باردة وفي بطنه (بطيخه صيفي)؟ أجزم أنه لم يكن مرتاحًا البتة تلك الليلة، كان متشنجًا وقلقًا، ولهذا، فقد تجنب كل مساعديه ذكر سيرة البطيخ أمامه، بل إن بعضهم قد ذكر مساوئ كثيرة للبطيخ وقت الشتاء، لكن ذلك لم يهدئ من توتره، بل زاده تشبثًا بالشباك المطل على الشارع، يتابع سيول الماء قطرة تلو أخرى ثم يقضم أظافره كلما زاد منسوب المياه، يجلس ليتابع حالة الطقس ثم ينتفض كلما زاد هدير الرعد:

– شو صار بالمنسوب يا إخوان، زاد؟ يقول العمدة بصوت متهدج.

– لا سيدي، الأمور تحت السيطرة. يردد الجميع من حوله.

– يا جماعة، احكوا الحقيقة، ما راح أزعل، بدناش فضايح.

– معاليك، قالوا أنو المنخفض بدو ينحسر بكره مسا.

– ينحسر! والله لأخنقك إذا ما انحسر، هاتولي المريول البرتقالي.

ويهرول أحدهم لإحضار المريول، بينما يمد آخر للعمدة برأس نارجيلة تفاحتين، لكنه يشيح بنظره عنها، لقد عاف الطعام والشراب منذ بداية المنخفض فما بالك بالنارجيلة! يعقد يديه مرارًا متمنيًا سلامة الزواريب وانقطاع المطر. ستنهال عليه المكالمات بعد

ساعات قليلة، إحساسه يخبره بذلك، لن يهتم للسيول، سيوقف التفكير بالمياه المنهمرة، وسيغلق الستائر ويكون وحيدًا، سيطفئ تلفونه أيضًا، ويريح رأسه وكأن شيئًا لم يكن.

يمر الوقت ببطء في غرفته، يقطع الصمت صياح أحدهم بتوقف المطر، "لقد توقف تمامًا، ولا قطرة سيدي"، يقول مساعده بصوت متحشرج زافًا له البشارة، ثم ينظر إلى عيني العمدة الذي لم يصدق ما يسمعه.

- قولها مره ثانية، ولا قطرة، يقول العمدة، وقطرات الدمع تكاد تنط من عينيه.

- زي ما أحكيلك، نشفت عالآخر، يقول المساعد مجترئًا وابتسامة ترتسم على شفتيه.

يتنفس الأمين الصعداء، يشعر كأنه ولد من جديد، يفتح الستائر على مصراعيها، يشرع النافذة، يطل برأسه، ما زالت تمطر، يندهش، يفغر فاه:

- ولكو شو هاضا، لساتها كَبّ من الرب.

- سيدي، هذا مو مطر، هاي ماسورة الجيران مكسورة!

أميننا العزيز سلامات، هي مجرد شتوة وعدّت. الخير بالجايات.

2013 /12 /6

رمال

عوت الريح، ثم يبست الأزهار، وعندما غابت الطيور تنبه الناس للأمر، أحسوا بالخديعة وأن خللاً كبيراً قد أصاب المدينة.

أصاخوا السمع لصوت الجداول، فلم يسمعوا شيئًا، لا صوت للبلابل أو لخرير الماء، كانت الريح وحدها تزفر بعواء جنائزي مريع.

فزعوا عندما سقطت الأشجار علانية في وضح النهار، أزاح أحدهم عن منكبيه أغبرة الرمال ثم نهض متعثرا بنعومتها، أسند يدًا على جبل الرمل بجانبه ثم وجّه الكلام لكبير الحكماء.

- الرمال يا كبيرنا كست القلوب والمدينة انتهت ولم يتبق لنا غير الصحراء.

تذمر آخر: الويل لنا! كلما طلعت الشمس زادتنا ظمأً، وكلما هبت الريح ملأت أفواهنا بما تخلفه، يا حكيمنا، ماذا صنعت بالبلد؟

أصاخوا السمع مرة أخرى فلم يسمعوا غير نباح الرمال الذي بدأ يشتد بقوة.

اجتمعوا حول الملهم الفتان، مخلص الوطن وحامي الديار!

كان يقف بينهم وقد علت قامته الجميع، يتدثر بملاءة حريرية خضراء وقبعة مستديرة، هدية من الحلفاء الناصرين.

احتمى بالصمت وابتسامة تتوارى خلف ملامحه.

بعد أن أفل نجم المجتمعين وساد صمته، قال كأنما يخاطب نفسه: أيها الشعب، بلدنا بخير.

علا الهرج والتصفيق مرة أخرى، وزغردت النسوة وكبـّر الجميع بأن يعيش الحكيم إلى الأبد.

- الحلفاء منذ هذه الساعة، سيجلبون لنا الخير والمحبة.

لاذ بحرز السكون بعدها، فيما علت همهمة من حوله، ثم أردف قائلاً:

- أيها الشعب الكريم، سنتقايض مع الحلفاء الخضرة، يلزمنا التغيير في هذه المرحلة،

سيكون بيننا وبينهم الكثير مما سيعود بالنفع لنا جميعا!

قال ثم اخترق المجتمعين بسهم من عينيه، نكسوا رماحهم وعلموا أن عمر الكبير مديد.

***

استورد الرمل.

نقل بتكاليف باهظة.

بعد أيام قليلة كانت الأسلاك الشائكة تحيط بالمحمية التي زينت بالأشرطة وأعلام الحلفاء استعدادًا للافتتاح العظيم الذي حضره الحكيم وكبار القوم.

قص شريط المحمية وصفق الجميع وتبادل الرؤساء الأوسمة والقبل وظهرت صورهم وهم يوقعون الاتفاقيات والمواثيق.

بعدها صارت المحمية مصيفًا يقطنه عامة الشعب.

حملوا حقائب المرطبات والحلوى ومضوا نحوها بفرح وغبطة!

بنى الأطفال قلاعًا من الرمل ثم هدموها ليعيدوا البناء ثانية.

الرجال حطوا بتعبهم فوق الرمال المستوردة، وامتدحوا أفكار الحكيم السديدة، أما النساء فقد ارتدين (مايوهات)، تكشف عن سيقان بيضاء.

***

ارتفعت درجة الحرارة، المياه خالطها الملح وغدت ملوثة وطعمها غريب.

كثيرون قالوا بأن هذه بداية ملامح التغيير الذي تحدث عنه الحكيم، وكانوا يطلقون النوادر بشأن طعمها، حتى إنّ هداياهم لبعضهم البعض أصبحت عبارة عن مياه مالحة بعلب ملونة.

بعد فترة وجيزة، اشتد طعم الملوحة.

اعتمر الكبير قبعة جديدة وخرج.

قال والجميع حوله مصطفّون بوجوه لطمتها أشعة الشمس فأصبحت كالحة

- الحلفاء لديهم خطة بديلة لنا ... سنبيعهم الهواء.

علا صوت الصمت بعدها وعرف الجميع أنهم محكومون للمجهول.

***

السماء صفراء.

فَراشُ الرملِ يطير ملتهمًا كل عود أخضر أمامه، رياح الخماسين أخذت تعتصر النفس الباقي وتلهب الجو برمال مالحة.

لم يتذمر الناس قط.

كانوا واثقين أن الحكيم متنبّهٌ لما يحصل، والحلّ دائما موجود بيديه.

الرمال تجوب الشوارع.

تمسح أرصفتها وتحيلها إلى خراب وأطلال.

الدكاكين والأعمدة وحتى المدارس أخذت بالتساقط وحلّت محلها حبات الرمل.

الشواخص وحدها بقيت واجمة في مكانها، ترتفع فوقها صورٌ ملونة لكبير الحكماء بابتسامته المعهودة وأصابعه الملوحة بالتحية للجميع.

فيما المدينة تهوي ركناً ركناً.

2014 /7 /3

هذا من فضل ربي

يساورني شكّ تجاه بعض أبناء القرية وتحديدًا "خلف الحارس" و"متعب التمرجي" و"مهاوش السايق"، شكٌ حقيقي عن مصادر أموالهم وتحوّلهم لأثرياء بين ليلة وضحاها.

فجميعهم بلا استثناء انقلبت موازين "الطفر" لديهم وأصبحوا ميسوري الحال، بدون قروض بنكية أو ديون متراكمة لمختار القرية وسماسرتها، كيف حصل هذا؟ ولماذا شذّ هؤلاء عن قاعدة العوز التي تشهدها قريتنا؟ فالأصل هو انتظار الراتب بلهفة، وصرفه كاملاً قبل منتصف الشهر، بين فاتورة عالقة، وجرة غاز فارغة، وكمبيالة مستحقة، أو "نقوط" في عرس أو طهور، لتشهد القرية بعد هذا التاريخ نشاطًا غير مسبوق، ولتكثر الزيارات والمجاملات وأباريق الشاي وقت الغروب؛ بغية الاستدانة من هذا، وتبويس لحية ذاك من أجل حفنة دنانير.

"خلف" الذي عمل طوال حياته كحارس في شركة خاصة، والذي كان يشكو دائمًا من بؤس العيش، تم طرده من الشركة التي يعمل بها بعد حادثة سرقة لرواتب الموظفين، وسجنه لمدة شهرين على ذمة التحقيق. ليخرج بعدها بريئًا، وكان ما كان، وحزن أهل القرية في البداية على قلة حظ "خلف"، لكنه ما لبث أن ظهر بحلّة جديدة وبشكل يدعو للريبة، وبدل أن يكون حارس الشركة أصبح مالكها.

والسؤال الذي يطرح نفسه بشدة: هل سرق خلف الشركة؟

وتأتي الإجابة: حاشا لله، هي مجرد إشاعة.

أما "متعب"، فقد عمل ممرضًا في أحد المستشفيات، حتى أدين الرجل بتجارة الأعضاء البشرية وبالتعاون مع أحد الأطباء المعروفين، ولكن التهمة لم تثبت عليه لعدم وجود الأدلة الكافية.

هل تاجر متعب بأي أعضاء بشرية؟

ويجيبك الكثيرون: من المستبعد ذلك، الزلمة نظيف، هي مجرد إشاعة.

لكن حالة "مهاوش" هي الأغرب؛ فبحكم عمله كسائق "تريلا"، كان يسافر كثيرًا، وينقل بضائع من الشرق إلى الغرب، وبرغم بؤس هذا الرجل الذي لا يخفى على أحد، وسنوات المحل التي مرت بحياته، إلا أن حالته تبدلت واشترى أسطولًا كاملًا من الشاحنات، بعد شكوك عديدة بتهريبه المخدرات والأسلحة.

فهل هرّب "مهاوش" أي حشيش أو أسلحة؟

"شو حشيش ما حشيش"، كلها إشاعات مغرضة.

إذًا هي مجرد إشاعات بدون إثبات أو قيود جنائية، أو حتى مساءلة ولو تحت بند: من أين لك هذا؟...

وقد تمضي يومك بالكامل وأنت تسأل ذات السؤال.

وتجيبك جملة مشتركة ووحيدة منقوشة فوق الحجر الرئيسي لبوابة المنزل تقول:

"هذا من فضل ربي"

2013/5/13

صناعة صينية

كم نحن مزيفون!

أجل، ونمثّل أيضًا، ولا نخشى ذلك، بل نعيش الحالة لحظة بلحظة.

ها أنا كسرى، وأعبث بأموال ليست لي، وألخبط أدمغة الشعب الهادئ، غير عابئ بما تؤول إليه الأمور، ملك على البؤساء وقليلي المروءة ومن لم يحالفه الحظ، جالب السعد أنا، لذوي القلوب المطفأة، أنا الحظ، ذو الأسماء المتعددة فارهبوني.

لست حقيقيًا، فأنا أرعن، قاتل، رخيص، فاسد ذو أسبقيات في سجن الجويدة، لم سيخافني الناس؟ أنا لست بكسرى، أنا طاغور.

شاعرٌ، مستند إلى جذع شجرة لا تنجب ثمرًا، ناحل العود، متربع كتمثال بوذا، وأودّع حمام عمّان بشكل سريّ ليحفظها الله، وتقتص مني المدينة، وأكون قصة يحكيها الكبار وقت النوم لينام صغارها، وبوصلة يتنسم البحّارة منها عبق البحار.

أنا جانب مفضوح، لكنني لست بطاغور.

سحقاً للصور، وللشخوص، وللمدينة الكبيرة، ألا يسعفني أحدهم! أتيه بينهم كسنديانة باسقة ذات ذكريات مؤلمة، حفرَ العشاق على جذعها قصة حب لم تكتمل، خرافية، ليس لها نهاية، تزول عند جفاف بئر الماء ما زلت مزيفًا ولصًا وقاطع طرق، وطريدًا.

من أختار؟

صدّام، أحس بضيق في حنجرتي، ورمال تجتاح صدري، أهكذا كان يعيش هذا القائد، أيعقل أن تكون أيامه كلها كوابيس يستيقظ منها ليشرب كوب ماء.

فقط كوبًا صغيرًا من الماء.

ويدٌ تمتد بغلس الليل لتسقيه كطفل، وتهدهد على رأسه لينام، ترى من كانت هذه اليد، ولم لم نعرفها إلى الآن؟

تاريخ مزيف أيضًا!

ترى ماذا تقول له اليد: "نام، نام، وأذبحلك طير الحمام"، هو الحمام إذًا، وماذا ستكذب عليه: نم، "فهو مجرد حلم، وأنت ما زلت بطلًا وإنْ هوى نجمك فسيذكرك الناس ويحلموا بك."

وينام الطفل، وأنا لا أنام.

ولا يذكره الناس، وتتحول ذاكرتهم إلى فوانيس مطفأة.

وما زلنا مزيفون، أجل، أنا، وأنت، ونحن، لا ينقصنا شيء، فهاتان يداي، ولي عقل وقلب وبصر، وظلٌ حقيقي وخفة دم.

"وأزيدك من الشعر بيتًا"...

فأنا متزوج ولديّ ولدٌ مثقف وبنت رضيع، وعاملة إندونيسية، وبيتٌ مُسطحُه مائتا متر مربع، وبركة سباحة وسيارة دفع رباعي.

لكنني لست بحقيقي، فمعجونتي صناعة عادية. مؤقتة، لا تدوم.

هل أقول الحقيقة: صناعتي صينية.

2013 /5 /2

حبة قمح

- كان المطر شحيحًا ذلك العام، فقر وجوع عمّ البلاد، وإنذار بسنين عجاف قادمة.

يقول "شيحان" ثم يبلع ريقه، ويبتسم لريح الجنوب، منكسًا عينيه ثم يردف:

"ونحصد القمح، ثم نجمعه بيادر هزيلة متلاصقة، نذرّي السنابل فتنجب حبوبًا، أنا، أبي، أمي وإخوتي، كلنا نعرف أنَّ حبة القمح تعني الكثير، فنلتقطها بعناية ونودعها عن أعين الطامعين، لا نترك حبة هائمة، ولا يصيبنا كلل أو يداهمنا ملل، إلا إذا انتهينا من جمعها في "شوال" كبير.

تعلو ضحكة "شيحان" فجأة، ولا أفهم بماذا يفكر، ثم يتمتم بكلمات حبّ عن الوطن، عن عمان وحسبان والمفرق والكرك، ويجرّه حنين لتراب مأدبا ورائحة الخزامى بجلعاد والسلط، ثم يتجهم عند الحديث عن الفاسدين، ويتهمهم بسرقة مقدرات البلد وبيع محصوله، يذكر بحديثه أيضًا أباه ويده القابضة على المنجل وقت الحصاد.

بنى النمل قريته بجانب البيدر، أسراب تنغل من باطن الأرض، تصطف طوابير منظمة نحو الحبوب المتناثرة حول الأكوام، تلتقط كل نملة حبة قمح واحدة، ثم تقفل عائدة نحو بيتها.

حبة، حبة، كانت تمضي إلى سبيلها، وأنا أنظر إليها بحنق شديد، فأبي حريص على جمع الحبوب كلها، لكنه يغض البصر عن سرقات النمل المتكررة، وأنبهه لذلك:

- النمل يسرق غلتنا يا أبي، انظر! لقد ضاع الموسم بين أفواه النمل المدلّل.

ويؤشر "شيحان" إلى نملة، تحمل حبة قمح وتخفّ الخطى هاربة. ويضحك الأب ناهرًا:

- دعها، فما للنمل هو للنمل، فلا خوف منها ورزقها حبة واحدة، هو ما تطيق حمله.

لكن "شيحان" لا يقتنع، ويزيد حنقه مع كل حبة مستلبة.

كنا نتقي أن ندوس أي نملة بخطواتنا، فنقفز عنها وتتعثر أرجلنا ببعضها بعضًا، حتى منعنا أبي من دخول الحقل وأهملنا الحصاد.

توسعت قرية النمل بعدها، وامتد نفوذها لأكياس القمح، ثم داهمت الشعير، وغطت أسرابها المحصول بأكمله، كنا ننظر بعيني أبي لإنقاذ المحصول، فيكرر علينا جملته المشهورة.

يتأفف عندها "شيحان"، ويزفر بفم يؤطره اللعاب:

– هه، جئنا صباحًا لحمل الحبوب للطحن، متفائلين، تملؤنا نشوة غامرة برغيف خبز، لكن قلوبنا ارتعشت عندما رأينا البيادر منشولة والأكياس فارغة... وأسراب النمل لا تحمل حبات وحيدة، إنما تعض بأسنانها على سنابل قمح بأكملها.

2013 /5 /11

الشُسمو

في قريتنا – التي ابتلعتها المدينة مؤخرًا – عجوز طاعن في السنّ يدعى بـ"أبو عقلين"، اعتاد الجلوس بهيبة على ناصية الشارع المحاذي لمنزله، صورته الظاهرة للمارة تنمّ للوهلة الأولى عن شيخ جليل ووقور: عباءة مطرزة، لحية بيضاء، عقدة مصطنعة بين العينين، عصا يستند عليها عند الوقوف، نحنحة قبل البدء بالكلام.

كان "أبو عقلين" يفرض احترامه عليك ما دام صامتًا، فإن تكلّم ضاعت هيبته بعد ثلاث جمل غير مترابطة، فهو مساند لك في الصباح، وعدوك اللدود في المساء، وإذا اتفقت معه عند الظهيرة، فإن كلمته لا تلبث أن تنتهي صلاحيتها قبل الغروب، وإذا تظلم أحد على مراوغته وعدم حفظه للاتفاق، لجأ "أبو عقلين" إلى أسلوبه الذي اعتاد عليه الجميع:

– أنت ما قلتلي متى رح تجيب "الشسمو"، وأنا أركنت وقتها وحطّيت مصاري بالشسمو، يا عمي روح قبل ما أجيبلك الشسمو!...

غدت كلمة "شسمو" مفتاحه الذي يخرجه من أعتى المحن، ويفك أسره من أصعب الالتزامات، فإن أجبته بحجة قوية، تظاهر بعدم القدرة على السمع وأن الكهولة قد صمّت أذنيه وسرقت ذاكرته، وإن استرسلت معه بطلبك وأصررت على المضي بالحديث، لجأ إلى نظرية "الشسمو" التي تدخلك بمتاهات لا تعرف لها طريقًا.

مجلس النواب لا يختلف عن "أبو عقلين" بشيء، فالمجلس مكتمل الصورة: قبة برلمان، كتل، ميكروفونات، شرفات مطلة، خطابات نارية، نزاع على تعديل قوانين فاقدة للشرعية، مهووس شهرة افتعل ضوضاء لتتحرك الكاميرات باتجاهه، مناسف طبخت بلحوم بلدية، كروش مكتنزة، كشرات حقيقية، وأيدي تستند عليها الخدود لسماع خطابات ثقة على آخر مقدرات المواطن.

كلها مؤشرات تدل على وجود برلمان قادر على محاسبة الحكومة، والانتصار للشعب الذي ينتظر بفارغ الصبر أن يأتي الفرج ولو على ظهر ناقة، صور جميلة قد تزين حائط

منزل أحد النواب ليوهم من حوله بأنه ذو شأن عظيم، لكنها تفقد مصداقيتها عندما يجدّ الجدّ، وتصبح الهموم شخصية ومرهونة بحقيبة وزارية موعودة، أما مسلسل المشاورات النيابية التي لا تنتهي، والتهديدات بحجب الثقة عن الحكومة، فإنها ستنقلب بلحظة التصويت إلى:

ثقة... ونص.

ما يميز "أبو عقلين" عن مجلس النواب أنه يجد دائمًا طريقة ذكية للتنصل من عهوده التي لم يحفظها قط، ويلوذ إلى ادعاء "الطرش"؛ لعدم سماع الرأي الآخر، واستخدام "الشسمو" للتهرب من الإجابة، وأستبعد أن يكون لدى المجلس قدرة على استخدام الطريقة الأولى بتجاهل صوت الشارع، فهل سيلجأ المجلس إلى مبدأ "الشسمو" لتبرير مَنْح الثقة؟

لن أستبق الأحداث، وإن "شسمو" لناظره قريب!

2013/4/16

"مالو عِينه"

يحتضنك بشدة حتى يكاد أن يطحن عظامك أو يكسر ضلعًا من ضلوعك، ثم يُقبّلك على الخدين بقبل صوتية، ويبادرك بالسؤال:

-"وينك يا زلمة، مالكْ عِينه؟".

"ومالكْ عِينه"، هي مصطلح مركب لا يجوز تجزئته، فلا نستطيع القول كلمة (مالكْ) لوحدها، لأنها تفيد معنى آخر تمامًا، وتفيد الاستهجان، أما "مالك عينه" فتفيد التعجب والاستلطاف المبطن لعدم رؤيتك بشكل متكرر، أو الاختفاء وعدم الظهور في المناسبات.

-"كيفك، وكيف الحال والأهل؟".

-"مَختِير يا رجال،" وهذه الجملة تقال عادة مع ضحكة صفراوية، وتركيز النظر على تجاعيد عينيك، أو بضع الشعرات البيض برأسك.

- "... اتجوزت وإلا لسه؟"

وقبل أن ترد على مجموعة الأسئلة، يبادرك بسؤال جدي:

- وين صرت؟

السؤال الأخير مهم جدًا ومحتّم عليك، وهو يشكل محورًا في كل حديث بين شخصين لم يروا بعضهم لمدة تزيد عن شهرين أو أكثر، ومن المحتمل أن يتم سؤاله من أكثر من شخص في نفس الجلسة، وستضطر حينها إلى إعادة نفس المشهد ونفس السيناريو.

لربما تسود بعدها هنيهة من الصمت بينكما لتأخذ نفسًا، لكن صاحبك يكسر الجمود بسؤال آخر:

-"كيف الرواتب؟"

يكتنف هذا السؤال ذكاء وفضول.

فهو يسألك ذلك لتجيبه بالطبع:

-"مستورة، الحمد لله."

لقد أقفلت الباب أمامه للمضي قدمًا، ويفترض أن ينتهي الموضوع إلى هذا الحدّ، لكنه يصرّ على معرفة التفاصيل.

-"بس إن شاء الله وضعك منيح!"

سؤال استفزازي بالطبع، يدفعك لأن تفصح عن كشف راتبك التفصيلي، وعلاواتك السنوية، وقروضك، واقتطاعاتك الشهرية، شاملة سلف الادخار والتأمين الصحي والضمان الاجتماعي.

قد تمضي ساعة كاملة أو أكثر بهذا الحديث، وقد يمتد حسب الظروف المحيطة بك أو وفقًا لحظك وما يمليه عليك برجك في ذلك اليوم، فإذا انتهى اللقاء على هذا فقد نفدت بجلدك، أما إذا اضطررت للمكوث مدة أطول، فقد يتطرق لسؤالك عن أحد الأصدقاء القدامى أو زملاء الدراسة أو الجامعة.

هنا، يوجد لديك خياران لا ثالث لهما، الأول أن تستطرد بالحديث عن صديقكم المشترك، وتكون قد دخلت بدوامة جديدة وساعة أخرى من النقاش السابق، وساعتها (الله لا يردك)،

أو أن تقول وبشكل مقتضب وتحسم الموقف:

-"أبصر عنه، مالو عِينه."

2013 /4 /4

"سنحك"

كانت عصاه تطال الجميع، ترتفع كل هنيهة لتنزل فوق أحد الرؤوس المتطأطئة، يكبت أحد الطلبة وجع العصا فيزفر فمه بلعاب متناثر وبرطمة لا إراديه لشفتيه، ثم ينفجر مجهشًا بالبكاء، يعتدل حينها الأستاذ ويبحلق بالطالب مندهشًا ثم يصرخ:

-"ولك، لويش بتعيط، سنحة تسنحك"

يتنقل بعدها بين الطلبة متفقدًا واجب الإملاء، ومتابعًا كلامه: تنقسم... السلطات... إلى ثلاث:

القضائية، التشريعية، والتنفيذية...

يرفع أحد الطلبة إصبعه بخوف وتوجس، فيأذن له الأستاذ بحركة خفيفة بعصاه.

- أستاز، شو يعني سلطة تنفيذية. يقول الطالب بنبرة متهدجة.

-"ولك، ما بتعرف شو يعني تنفيذية؟".

يلتفت إلى باقي الطلبة، ثم يوجه لهم نفس السؤال: ها، شو هي السلطة التنفيذية، إنت جاوب! ويشير إلى أحد الطلبة.

-"تنفيذية ... تنفيذية، إنو يكون عندك فلوس كثير وتشتري سيارة ... وتعمر قصر كبير."

-"ميلة عليك، والله غير تورطني معاك"، وينهمر بعصاه على يد الطالب.

- رح أقربلكو إياها شوي ... شغلة كل مواطن أردني يحلم إنو يكون فيها؟

ينبري أحد الطلبة للإجابة: "أمريكا، أستاز"، فيضحك الجميع ويضحك الأستاذ معهم متنهدًا.

يرفع عصاه، فيصمت الجميع.

-"بلاش أعصب، بقولكوا... إشي بيتغير أربع مرات في السنة؟".

يعلو الضجيج والصراخ، فيشير الأستاذ إلى طالب في الزاوية: "إنت شو الإجابة؟؟".

يتلعثم الطالب، وتحمر أذناه ثم يقول: "الفصول الأربعة أستاز".

يضحك الطلبة بصوت عال هذه المرة، ويصفع الأستاذ جبهته براحة يده.

-"ول عليكو شو بقر"، بقولكو ثور بتقولوا إحلبوه، آخر مرة معكوا، إشي يحكم في البلد، ويلبس أعضاؤة بدلات، ويركبوا سيارات فخمة ونمرها حمرا."

- "مسلسل وادي الذئاب أستاز".

يعتري الصف هرج ومرج، لا يقطعه سوى صوت طرق العصا على الطاولة. لقد خاب أمله بمعرفة الطلاب لإجابته، فينكس رأسه مصدومًا، لكن أحد الطلاب يصر على رفع يده للإجابة، ينظر إليه الأستاذ بيأس، ثم يسمح له بالإجابة: "تفضل مستر انيشتاين".

-"تنفيذية، يعني، إنك تصير وزير، وتقدر تنفذ الأشياء"

فيبتهج الأستاذ ويقوم من مجلسه: "أيوه. وشو كمان؟؟"

-"وتعمر البلد..."

-"ممتاز، وشو كمان"؟؟...

-"وتمد شوارع، وتبني مستشفيات ومدارس وبنوك و...."

-"أحسنت، رائع، وشو كمان ... إحكي ... مالك سكتت؟؟".

-"أستاز خلص، ما بدي أزعلك.."

-"إحكي يا إبني، ما راح أزعل".

-"وبالآخر... تطلع الحكومة فاسدة، وتصير مظاهرات لإسقاطها ... وتسقط وبينسجن الوزير."

يرمي الأستاذ جثته على أحد المقاعد القريبة، كمن أصابته سكتة قلبية، ثم يبدأ بالغناء:

-"ولك ... سنحك، سنحاااااك وسنحك".

2013 /3 /31

أنداري

حدثني أحد الاصدقاء، والذمة على من روى، أن امرأة قروية بسيطة، كانت تعيش في كنف زوجها الضرير الذي يعمل إمام مسجد، وتميزت "خديجة" بأدبها الجم، وحسن خلقها وعلاقتها الوطيدة مع نساء القرية، وهدوئها الذي أصبح مضرب مثل لكل النساء، ورزانتها في الكلام والسؤال والإجابة، فهي ممن ينطبق عليهم المثل "تأكل من فم صامت". وفي هذا دلالة على الأدب والتهذيب.

يقول صديقي، والذي يقع بيته قريبًا من بيت الشيخ الجليل، أن خديجة كانت تربي مجموعة من الدجاج البياض، وعلى رأسهم ديك عتيد، وقد تحدث أهل القرية عن سطوة الديك، وصوته الجهوري القادر على إيقاظ النائم، وتندروا بما يتميز به هذا الديك من دهاء في انتقاء أماكن الصياح، وطريقة صياحه اللافتة، فقد كان يختار أعلى قمة في بيت الشيخ ليؤدي طقوسه اليومية شارخًا هدوء القرية كل صباح ومساء.

- كان الديك يصيح في أوقات مختلفة، يتابع صديقي وابتسامة ترتسم على شفتيه.

ثم يردف: وهي مواعيد محددة لا تخطئ: وقت الفجر والضحى والعصر وعند الغروب، ولكن أهل القرية قد شهدوا تغيرًا مفاجئًا في نظام الديك البيولوجي، ليغدو تركيزه في أوقات الظهيرة، وما بعد العشاء، حتى إنَّ الصياح كان يعلو بمنتصف الليل في بعض الليالي، مع ملاحظة تزايد عدد الصيحات في كل نوبة، والتي كانت لا تتوقف إلا بخروج خديجة إلى خمّ الدجاج لإسكاته بقليل من الشعير.

استغراب أهل القرية، لم يمنعهم من سؤال الشيخ عن سبب تغير نوبات صياح الديك، والذي أقض مضجعهم وحرمهم من النوم، وبرغم التفهم الكبير الذي أبداه الشيخ لشكواهم، إلا أنه كان يجيب في كل مرة: أنداري!

أما "خديجة"، فقد كانت تتهرب من إجابة نساء القرية بنفس طريقة الشيخ، وتتورد خدودها، كلما أصرت النساء على معرفة سرّ الصياح المتأخر ثم تجيب بتنهيده مصطنعة: أنداري!!

ظل سرّ الديك مكتومًا عن أهل القرية، وبقيت إجابة الشيخ وزوجته ذاتها إلى الليلة التي استيقظ فيها أهل القرية على صوت صياح ديك مفزوع هذه المرة، وزعيق خديجة راكضة من خلفه.

يأخذ صديقي نفسًا عميقًا، وضحكة جديدة تعلو شدقيه، ثم يتابع:

- خرجنا فزعين إثر الصياح والزعيق، حتى رأى الجميع خديجة تركض بمهارة عداء خلف الديك، ثم تمسك عنقه وتبدأ بنتف ريشه، الواحدة تلو الأخرى، ومع كل ريشة منتوفة كانت تسأله: ليش؟؟

فيجيب الديك: أنداري!

لم أتمالك نفسي هنا، وبكل بله سألته: "ول، طيب ليش عملت هيك؟؟؟".

ضحك صديقي هذه المرة حتى أغرورقت عيناه بالدموع ثم أجابني:

- أنداري!!!!!!!!!

2013 /3 /27

الذبابة الملعونة

هنالك أغنية شعبية مشهورة لأحد الإخوة المصريين، والتي يتذمر فيها من ذبابة هدت فوق رأسه، ويدور حوار شيق بينها وبينه عن شرعية وقوفها على رأسه، بقولها: "وأنت مالك، خليك بحالك"، وتصر الذبابة على الطنين وإزعاج صاحبنا، وبأدب جمّ يرد عليها: "وأنا كان مالي، خليني بحالي"، ولكن في النهاية يختلف الطرفان، ويتم قتل الذبابة "فعصًا" ثم دفنها، والكتابة على قبرها أنها "ذبابة ملعونة."

تناقل بعض الأخبار في الأردن يشبه قصة الذبابة الملعونة، "تطنّ وتزنّ" فوق رأسك إلى أن تفقدك رشدك، "والزن والطنين" قد يتخذ عدة وسائل: الإذاعة، التلفزيون، الصحف المطبوعة والإلكترونية، مكان العمل، الحلاق، الخضرجي، سائق التكسي، المقاهي، دواوين الأعراس والعزاء، مواقع التواصل الاجتماعي.

فحدوث أمر صغير وغير ملاحظ، كفيل بأن يتم تناقله بسرعة البرق، وبروايات مختلفة وبإضافات متعددة، وحسب نوع الذبابة وسرعة طنينها ورشاقتها في الطيران، ولكل خبر مدة صلاحية للانتهاء، فبعض الأخبار تنتهي صلاحيتها بنفس اليوم، وبعضها يستمر لأسبوع، والآخر قد يمتد لعدة أشهر.

ظواهر وحوادث بسيطة قد تمرّ بشكل اعتيادي، يتم تضخيمها بالرغم من ضحالة محتواها وقيمتها، أو إظهارها وكأنها مرض قد تفشى في المجتمع، فسقوط جدار استنادي في أحد الشوارع الفرعية في إحدى المحافظات، يتم صياغة خبره وكأنه انهيار لجدار برلين، وحدوث مشاجرة بين اثنين من المراهقين يتم تصويرها كحرب أهلية في جنوب السودان، ويتم الإشارة بخط عريض بالانفرادية والحصرية لنشر هذا الخبر.

في المقابل، تختفي الذبابة "الطنانة" عن الساحة ولا نراها في المواضيع التي يجدر الحديث عنها، ويدارى الخبر بطريقة غامضة أو مغالطة للحقيقة، أو تؤخذ وجهات نظر من طرف واحد دون تقصي الحقيقة من الأطراف الأخرى.

"الذبابة الملعونة"، يستخدمها البعض أيضًا لأغراض التشويق وتحت مسمى "اطلع من بين الخبيزة، شايفك"، أو لغايات التشويش على أساس أن "الطلق إللي ما بيصيب بيدوش"، أو على سبيل التهويل والمبالغة وبقناعة أنها "إذا ما تعكرت ما بتصفى"، وكلها للأسف قد تحدث بتوقيتات حرجة للبلاد، وغير مناسبة لدرء خطر سرب كامل من الذباب في آن واحد. ولإنهاء الطنين المزعج الذي قد يؤذي بعض الأطراف ويعكر صفو العلاقات ينبغي مكافحته من الجميع.

وإن أفضل وسيلة للتخلص من الذبابة، هو "فعصها"، ثم دفنها...

ولنكتب جميعا على قبرها: هنا ترقد "الذبابة الملعونة".

2013 /3 /20

أخر الخيبات

- "ماذا نفعل بكل هذه الخيبات؟"

- "هل نطحنها دقيقًا ونصنع منها خبزًا؟ أم نهديها لأحفادنا في ذكرى الاستقلال!"

قال الوزير بنبرة ساخرة، ممعنًا النظر بكومة سهام أمامه ثم بقائد حرس القلعة الذي أشاح بوجهه إلى الجهة الأخرى.

- "أجبني، هل نُفصّل الخيبات أثوابًا تستر عوراتنا وتقينا من شرور البرد والحر، وتكون حصوننا التي نلوذ بها".

لا يلتفت قائد الحرس ولا يجيب. يطبق بعدها صمت على الطاولة التي يتحلق حولها عشرة حراس ووزير يحرك مجموعة من السهام بين يديه.

- "هذه خيبة عزيزة على قلبي، ها، لن أفرّط بها"، يزيح الوزير أحد السهام جانبًا.

كان جرادُ الحرب يسدّ أفق السماء في الخارج، يحرق صور الأشجار ويغيّب خضرتها، يعبث بمياه الغيوم ويحبس غيثها.

أحسَّ الوزير بعجز في خفقات قلبه ووجيب يخفت كلما حرك سهمًا من سهام الخيبة بين يديه.

- "أتذكر هذه الخيبة أيها القائد؟ ما ألذ طعمها...، لا تزال تدغدغ مشاعري؟ ويكسر سهمًا بنزق شديد".

سنة مرت على هذه الحال، في كل يوم كانت تمنى القلعة بهزيمة جديدة، ومع كل خيبة كان قائد الحرس يدير ظهره لها، ويدمل الجروح كمن يواري سوأته، سنة بكامل هيبتها حملت مئات الخطايا وذنوبًا لا تغتفر.

- "الخيبة تجرح يا مولاي"!، أنظر، ويكشف قائد الحرس عن ظهره فتظهر عدة جروح وندبات... "ثم، ألا تصفح قط"!

- "أصفح، هل أسامح من خان وطنه! لقد أسلمت رقابنا رخيصة للعدو. انظر إلى الخارج أيها الأبله".

- "كلامك ثقيل يا مولاي، أنا عبد مأمور من الوالي، الخيبة ليست من صنعي، إني أمقتها".

- "بل قل إنك لا تستطيع أن تعيش من دونها! لقد أدمنت أنت ومولاك الخطايا والفساد، حتى غدوتم الخيبة ذاتها! ويكسر الوزير سهمًا آخرَ على عجل".

- "سيدي، إنك تقدح مقام الوالي، وهي جريمة لا تغتفر".

كانت عينا قائد الحرس تتسع كلما كسر الوزير سهمًا، تراوح النظر بين الوزير وباقي الحراس الذين أخفوا أياديهم تحت جسد الطاولة، قابضة على السيوف.

- "هي سيوفكم التي تتجهز لجريمة جديدة، هل أمر واليكم بقتلي؟ يا لسذاجته، لقد متّ منذ زمن بعيد، عندما ضاعت الكرامة التي لم نحافظ عليها".

- "حاولنا الذود عن القلعة، تعلم ذلك جيدًا، ولكن لم تعد لدينا موارد تكفينا".

- "ما هو الوطن يا قائد الحرس، أهو حقيبة تحملها على كتفيك وقتما تشاء، ثم تلوذ فارًا كسارق في جنح الظلام، من باع ترابه"؟

- "هي اتفاقيات وعهود".

- "هي كذلك! خيبات ونكوص، خيبة من وراء خيبة، حتى كسرت شوكة القلعة وتركتها نهبًا للأعداء".

يُبعثر الوزير السهام على الطاولة ممسكًا أحدها، ويقوم الحراس من مجالسهم مشهرين سيوفهم بوجهه، بينما يبتعد قائد الحرس نحو الباب مبتسمًا وملوحًا للحراس بالانتهاء من هذا المقال.

يكسر الوزير السهم بيده، فيصرخ أحد الحراس:

- "سقطت القلعة، سقطت".

2013 /4 /2

"حا يا شَين"

في الصغر، وتحديدًا في المرحلة الإعدادية، كان أستاذ اللغة الإنجليزية "غسان" أو "مستر جي" كما يحلو للطلاب أن يسموه، يشتهر بشفافية عالية في إنزال العقاب على الطلبة المشاغبين، ويتم تخيير الطالب لنوع العقاب الذي يفضله (شلوت، كف خماسي، ضرب بالعصا على قفا اليدين، أو تنظيف باحة المدرسة).

كان الجميع يعلم شروط الاتفاق مسبقًا، فإذا تم ضبط أحد الطلبة بجرم الكتابة على الجدران، أو الهروب من الحصة، يعلن الطالب أولًا أمام الأستاذ وباقي الطلبة أنه مذنب، ومدرك لحجم الخطأ الذي ارتكبه، وبعدها يطلب بأدب مجموعة الخيارات المتوفرة من العقاب، وعادة تتغير هذه القائمة وفقًا لحجم المخالفة ومزاج الأستاذ.

وبالرغم من شدة الألم الذي كانت تسببه لنا اللكمات المتلاحقة و"حمرطة" الأذنين بعد كل جولة تأنيب، إلا أننا كنا نتجه لمنصة العقاب بشموخ وأنفة، وتقدير جليل للأستاذ، وعزاؤنا في ذلك أن نوع العقاب تم بحرية مطلقة واحترام لشروط يفهمها الجميع.

وبنفس السياق، وباعتبار أن رفع أسعار الكهرباء والمشتقات النفطية "جاي جاي"، وأن الحكومة المقبلة والتي لم تتشكل بعد، لن تتراجع قيد أنملة عن هذه القضية الوطنية الملحة، والتي ستصب بالطبع في مصلحة الوطن والمواطن، وستنعش الاقتصاد وتقوي العملة، وتُغني السدود بالموارد المائية، وتحل مشكلتي الفقر والبطالة، فإنني أقترح أن يتم الرفع هذه المرة بالتراضي والتعاقد بين أصحاب العلاقة: الحكومة والشعب.

عملية التوافق السابقة، يمكن أن تتم بالاستناد إلى اتفاقية مكتوبة بين الطرفين وبوجود وسيط ثالث محايد (خالي طرف) للمصادقة على الاتفاقية، ويتم ذلك بتشكيل فريق حكومي رفيع المستوى، ولنسمِّه على سبيل التبسيط فريق "جمع الموارد المالية من

الموارد البشرية من أجل خدمة البلاد ورفعتها أو الفريق الأول أينما يرد لاحقًا بالاتفاقية ويرمز له بالرمز "حاء".

يقوم الفريق "ح" مشكورًا بحصر العجز المطلوب توفيره من الفريق الثاني ولنسمِّه وعلى سبيل المثال "الشعب" ويرمز له بالرمز "شين"، ويقوم الفريق "ح" بإعلان نوع الضرائب التي ستفرض على الفريق "ش"، ونسبة الزيادة المتوقعة على الأسعار، بينما يقوم مجلس الأمّة بدور الوساطة والمصادقة على هذه الاتفاقية والتحقق من مؤشرات الأداء المتوقعة (**KPIs**)، ويرمز لهذا الفريق بالرمز "ياء" على سبيل التمويه.

تترك للفريق "ش" حرية الاختيار بين أنواع الضرائب الجديدة، والسلع التي سيتم رفع أسعارها على كاهله، وذلك ضمن قائمة اختيار يعدها الفريق "ح" بشكل مسبق، مع احتفاظه مشكورًا بعدم الموافقة على خيارات الفريق "ش"، إذا اقتضت المصلحة العامة غير ذلك، وعلى أن يضمن الوسيط "ي" عدم المس ببنود الاتفاقية، وضمان حصول الرفع الاختياري بكل شفافية ونزاهة.

تمت هذه الاتفاقية في يوم الأول من نيسان للعام ألفين وثلاثة عشر ميلادية.

ملاحظة غير مهمة: للفريق "ح"، وفي حالات الطوارئ والأزمات والكوارث والعجز زيادة الأسعار بدون سابق إنذار على السلع الواردة في الملحق (1) ونذكر منها: المحروقات، الكهرباء، الدواء والغذاء.

التوقيع: ح، ي، ش

والله ولي التوفيق.

2013 /3 /17

سيجة

المشهد الأول والأخير

صورة طفل لا يتجاوز عمره خمس سنين يرعى قطيعًا من الماعز، يجلس فوق صخرة كبيرة، عيناه متقدتان، شعره أشعث ولا يلبس حذاءً، تبدو عليه علامات المكر والدهاء، يلتف حوله عدة صبية لا يختلف مظهرهم عنه، ولكن هنا تحديدًا، يتم تسليط الكاميرا على أحد الأطفال لتظهر جليًا علامات البله بعينيه، ثم تتحرك الكاميرا إلى الرسم المربع الذي يتوسط الأطفال.

الطفل الماكر: "دورك، العب"، وبحركة ذكية ينكز أحد الأحجار بإصبعه.

يحرك الطفل الأبله الحجر، وليعلن بعدها بقية الأطفال انتهاء اللعبة بفوز الطفل الماكر.

-"أنت غشاش"، يقول الطفل الغبي ثم يجهش بالبكاء.

يختطف الطفل الماكر كيسًا من يد الطفل الأبله ثم يزمجر:

-"زي ما تشارطنا، إللي يفوز، إله كيس القضامة".

تتنقل الكاميرا بعدها على وجوه الأطفال، وتبدو عليهم خيبة أمل وعدم رضا لخسارة صديقهم الغبي، ليبتعدوا متذمرين بعدها عن حلقة اللعب، تاركين الطفل الماكر وحيدًا، متوعدين بمعاقبته وإسقاط زعامته لهم، إن هو استمر "بالضحك على ذقونهم".

يدحرج الطفل الماكر بضع حبات من القضامة على الأرض، أمام عيون الأطفال، وتعيد الكاميرا هنا مرة أخرى، تناثر الحبات والتقاط عيون الأطفال لها بنهم شديد.

يسود بعدها صمت مطبق يجلل المكان، يقطعه صوت ثغاء أحد الجديان القريبة، وانسحاب لأحد الفتية باتجاه حبات "القضامة" المندلقة أمامه.

يكرر الطفل الماكر فعلته، ويرشق مجموعة جديدة من الحبات قريبًا من الأطفال، يتردد بعضهم ولكن إغراء حبات "القضامة" يمنعهم من الصمود.

تعلو الكاميرا هذه المرة بشكل تصاعدي، حيث تظهر ولأول مرة في المشهد قامة تيس ضخم، يربض فوق إحدى الهضاب، وحوله قطيع الماعز منهمكا بأكل العشب، وغير آبه بتفاصيل اللعبة من حوله. بينما يلتئم الأطفال حول مربع صغير وطفل ماكر، متقد العينين، أشعث، لكنه يحمل هذه المرة كيسًا ممتلئًا بالحبوب.

2013 /3 /14

كُفتة بطحينية

أحد القضاة في أمريكا ويدعى "ريموند" رنّ هاتفه الخلوي في قاعة المحكمة فحكم على نفسه بتهمه "ازدراء المحكمة" ودفع على الفور (25) دولارًا غرامة مالية.

الخلوي رنّ في غفلة منه، لكنه لم يردّ، ولم يقطع جلسة المحكمة أمام مرأى الجميع، ولم يختلس لحظة حديثًا جانبيًا.

رن الهاتف فقط، فحاكم نفسه على ذلك. ترى من كان المتصل؟

لربما كانت زوجته وأم "عياله" تخبره عن احتياجات المطبخ لهذا اليوم:

– ألو، ها يا مره، شو في ... كيف؟ بدك طحينية كسيح، وكفتة عجل بلدي ... وأيش ... بطاطا، استني شوي خليني أجيب قلم.

والجميع يبحث في جيبه عن قلم وينصت للمكالمة منتظرا انتهاء الطبخة على خير.

–"شكلك طابخة... كفتة بطحينية".

يقول "ريموند" وكأنه اكتشف سرًا خطيرا.

– "ها ...لا، لا مش متأخر، قضيتين عالسريع وجاي."

هل كانت فعلًا زوجته على الخط الآخر؟ ربما، لكن أغلب الشهود أكدوا أن المتصل كان رجلًا:

– أهلين يابه مايكل، أنا في محاكمة هسا، شو بدك؟

– مصاري؟ ولك ما صارلي موديلك ميتين دولار الأسبوع الفايت، يِقطع هالدراسة إللي قرفتني فيها،،،،،

– متى؟ عشرين الشهر. هوا شو اليوم؟

ويتبرع عشرة أشخاص من حوله لإخباره عن التقويم الميلادي والهجري.

كم مرة رنّ الهاتف قبل أن يسكته "ريموند" بحرج شديد، رنتين، أم رنة واحدة؟

وما النغمة التي صدحت بها قاعة المحكمة آنذاك؟ هل كانت "يا سعد لو تشوف البراقع، شيب ما أنى بشايب!..."

أجزم أن خدود "ريموند" قد احمرت خجلًا وارتبك، لاعنًا صديقه "أبو رنّه" بسره، ولتسود بعدها فوضى عارمة في القاعة قبل أن "يخبط" بشاكوشه الخشبي على الطاولة لإعادة الهدوء.

لماذا لم يعتبر ريموند الحادثة وضعًا عاديًا ويغض الطرف عنها، ويغادر المحكمة لتناول الكفتة البلدية التي بردت في انتظار قدومه؟

ما موقف المتنازعين وبقية الشهود من ريموند؟ هل سخروا منه وتندروا؟

-"صحيح إنو واحد "مزدري"، وصلت معه لحد هيك يا زلمة، يرن تلفونه بقاعة المحكمة، والله إللي استحوا ماتوا".

ما الذي سيقوله زملاؤه في المهنة: "ريموند .... أبو القانون! يا حيف".

هناك فتاة طابعة تجلس عادة بجانب "ريموند"، لم تجرؤ قط على النظر بعينيه، هل تفعلها هذه المرة؟ لقد أخرجت تلفونها أمامه وبعثت برسالة نصية لصديقتها. هل يعقل ذلك!

لماذا، كيف، متى، أين؟

لقد تعبت من صيغ السؤال والتعجب.

سأدع المجال لكم لتكملوا مع "ريموند".

لكن حذار أن تؤخروا الرجل، فلديه صينية كفتة جاهزة في الانتظار.

2013 /4 /18

كرمال عين

مجلس النواب أمضى ما يزيد عن شهر لاختيار رئيس للوزراء، الشيء الذي لم أستطع فهمه أن قائمة الاختيارات التي أُعطيت للنواب، ضمت اسمين فقط (ع، ع)، ومع هذا فقد اتسم مخاض الاختيار بصعوبة بالغة، وطول مدة فاقت عملية "ثعلب الصحراء" ذاتها. وفي نهاية المطاف بقي الرئيس "هوّا هوّا" وأقصد العين الأولى.

قامت الدنيا ولم تقعد، وانشغل الإعلام المرئي والمسموع والمقروء بمشاورات "طالعة" ومداولات "نازلة"، ومباحثات سرية وأخرى علنية، واجتماعات افتراضية لكتل هلامية، وانقسامات في الرأي والرأي الآخر، وانشقاق في الصفوف، وتبادل للشتائم، بل وتعدى الأمر إلى معارك شبه برية، وتهديد بالسلاح وعطوات وجاهات صلح وتبويس لحى لاحتواء الموقف.

كلّ ذلك، والقائمة حصرت بين اثنين، فما بالك لو كان الاختيار بين مئة مرشح لمنصب الرئيس؟

لربما احتاج أعضاء المجلس حينها للاستعانة بلجنة خبراء دولية محايدة لمساندتهم في هذه "المهمة المستحيلة"، وقد تضم اللجنة في عضويتها: "توم كروز" رئيسًا للجنة وسفيرًا للنوايا الحسنة والخيال العلمي، لتدريبهم على تخطي المصاعب، علماء بيولوجيا متبحرين في فك ألغاز الجينات والشيفرة الوراثية، سحرة وعرافين، لرؤية البخت وما شابه، أطباء نفسيين لطمأنة النواب وتشجيعهم، متخصصين في كشف الألغام والأسلحة غير التقليدية لتطهير مجلس النواب قبل أي جلسة ثأر، ثلة من حاملي جائزة نوبل لنشر السلام والسكينة في مجلس النواب.

ومن المرجح أيضًا، أن يقوم رئيس المجلس بإيفاد الأعضاء لرحلات استجمام مفتوحة لإحدى غابات الأمازون؛ لتهدئة روعهم ومساعدتهم في "المخمخة دون طخطخة"،

والتجلّي قبل عملية الاختيار، وعلى هامش الزيارة سيقوم الأعضاء بمقابلة "طرزان" شخصيًا وتوقيع مذكرة تفاهم نيابية كخطوة أولى لإصدار مدونة للسلوك البرلماني.

وقد يضطر وزير المالية صرف مخصصات بدل أتعاب وكوبونات تنقل لكل نائب مجتهد أسرع بالاختيار، وتحت بند "تجلّي من أجل الوطن"، ومن غير المستبعد أن يتم التصويت بعدها لتشكيل وزارة جديدة باسم "وزارة شؤون التجلي البرلمانية لاختيار الحكومات".

السيناريوهات السابقة محتملة فقط، في حال اكتمال النصاب القانوني "للتجلي" لكافة النواب، أما في حال غياب الإلهام عن أحدهم، فإن العملية ستعاد عن بكرة أبيها، وسيحتاج الأمر -وحسب تنبؤات الجمعية الفلكية الأردنية-إلى أربع سنوات ضوئية لإنهاء المشاورات والخطط المبتكرة لاختيار الرئيس.

هل انتهينا من ذلك، لسّه.

فلم يتم اختيار باقي الوزراء بعد! "وكرمال عين، هيك عملنا، شو رح نعمل كرمال مرج العيون المتبقية".

2013/3/11

التفكك

كانوا أربعة من حوله.

"مَرمش" بمثابة كلبه الأمين الذي ينهش به أعداءه، ويحيك المؤامرات ضد كارهيه، "وطّاح"، عينه التي يتجسس بها على طمع الطامحين في السلطة، "مدّاد"، الناطق الرسمي باسمه، وجهازه الإعلامي الذي يزيّف الحقائق ويفسد القلوب والعقول، أما "تِركي" فهو الحكيم الذي لا تخيب مشورته، وصاحب خطط الاستيلاء على حصص الماء "والحلال" عند عجز أصحابها عن السداد.

أربعة رجال، مجهولو النسب والآباء، اصطفاهم من خارج العشيرة وخصّهم بالرعاية، كانوا يتبعونه كظله، يرعون أمواله وأطيانه، ويشاركونه رحلة فساده وهيمنته على أهل الصحراء العُزّل.

أربعة... لم يغيرهم الشيخ قط طيلة هذه السنين العجاف، ولم يتغيروا، بل ازداد ولاؤهم له منذ أن اتخذ لكل واحد منهم "بيت شَعرٍ" منفصل، وناقة وضحاء، وزوجة حسناء.

عرفَ الشيخ أن بقاء حُكمه ومشيخته مرهون بتفسخ ودّ القبائل وتشظي صلة الرحم بينهم، وزعزعة ثقتهم بأزواجهم وأولادهم، وأن الغِنى بينهم هو سيد الشرور، وهو قوة تورث الفتنة وتؤجج الخطر، عرفَ أيضًا أن الفقر هو مفتاح رقاب أهل الصحراء، وقلة الماء والكلأ هي ضمانه الوحيد لعدم انقلابهم عليه وعلى مشيخته التي امتدت لعقود.

يذكر "تركي"، أنّ تقسيم القبيلة هو الحدّ الحاسم لخطة التفكك، يسهب في شرح أدواته أمام الشيخ وباقي مجلسه المقربين، يستخدم عودًا يابسًا ورمل الصحراء لرسم مخطط افتراضي، يلجأ أيضًا لحجر، أو "بَعرة" ماعز للدلالة على بعض الأشخاص غير المرغوب بهم، وكلما دبر مصيبة لأحد الحجارة، كان يضربها بقوة، فينزف دمها غزيرًا أمام أرجُل الشيخ والمستشارين.

أما "مَرمش"، فيسيل لعابه كلما اقترب وقت خلاص أحد الحجارة أو حبّات "البَعر" الكثيرة التي يناصبها العداء والضغينة، يلهث "مَرمش" ويتدلى لسانه كلما أومأ إليه الشيخ بأمر أو نهي، ويفرح بموت أحدهم أو بمصيبة قد تحلّ بأهل الصحراء أو ماشيتهم، كان يتسلل بين الخيام ليلًا، ملثم الوجه، كرمح مسموم، يُميت بصمت ويزرع أدلة الفتنة ووحشة الثأر.

يقصّ "وطّاح" أثر خيانة مزعومة بين أبناء عم وإخوة، يجهز ضحاياه بعناية، ويتابع ردود فعل كل الأطراف، قبل أن يطلق الخبر، يضيف مشهدًا ويصبّ زيتًا على النار، يمازج بدهاء حبك قصة شرف كاد أن يُهدر لولا تدخل أخ نائم في العراء، يموت ذودًا عن شرف القبيلة وحريمها.

يشيع "مدّاد" مع نسمات الصحراء وقيظ لهيب الرمل خبر بطولة مفتعلة وقتل غادر، يلهب مشاعر أهل القتيل، ويزودهم بسلاح وأدلة تدين القاتل. يعرض بجانب آخر، جلاء أهل القاتل عن ديارهم وبمنحة سخية من الشيخ المعطاء الذي يحقن الدماء ويحفظ الشرف.

"تصبح العرب عربين ويبدأ التفكك"!

أربعة يستند عليهم الشيخ كعكاز في يوم عجز، يلقمهم الأكاذيب، ويسقيهم كلّ أشكال الدنس والشرور، يعرفهم جيدًا، ويُكتب لهم النجاح في كل مكيدة أو صيد ثمين.

يجلس الشيخ مرتاحًا و"دلال" القهوة أمامه، وقورًا، واسع الثراء والنفوذ والسلطة.

تحفّه أربعة ظلال صمّاء، وصحراء ملتهبة، وخيام شَعر مُفككة. نزح عنها أصحابها على أمل الرجوع.

2013/1/7

نيكوتين

أخيرًا، أقلعت عن التدخين!

بعد ما يزيد عن عشرين عامًا متواصلة من "الكحّة"، وضيق النفس ونحول العود، استطعت أن أتخذ قرارًا تاريخيًا بتركه والابتعاد عن كافة مشتقاته: السجائر المحلية والمهربة، النارجيلة البحريني وخاصة بطعم التفاحتين، معسل الزغلول والتمباك، السيجار الكوبي عند لقاء أحد الأصدقاء ميسوري الحال، غليون جدتي بعد نفاد السجائر بآخر الليل.

انقطع حبل الوصال بيني وبين النيكوتين والقطران إلى الأبد، كنت كالحبيب الذي فقد حبيبته في حادث دهس مؤسف، حزينًا، محطمًا، وحيدًا.

كان قرار الترك مقرونًا بأسباب مالية بحتة، متعلقة بتوفير ثمن السجائر المرتفعة من راتبي الذي لم يعد يكفيني بعد خطوبتي لفتاة طموحة وغير مدخنة، عوضًا عن الأسباب الصحية الفرعية والتي تتعلق بجودة عضلة القلب، ووقف اللهاث المستمر عند صعود الدرج.

نبذني منذ ذلك الوقت كلّ أصدقائي "العتاعيت" المدخنين، "لم نعد من طينة واحدة"، هذا ما قاله أحدهم لي مرة.

وكرر آخر وسيجارته بين يديه: هل تحسّ بأعراض بلاهة مؤخرًا؟ وأردف قائلًا: لقد قطعت شعرة معاوية التي بيننا، خيانتك ستلاحقك كلعنة أبدية.

أصبح أصدقائي كلهم من غير المدخنين، ومن دعاة المحافظة على البيئة والأطعمة الصحية، وممارسي المشي السريع ومشجعي الشريان الأبهر.

زاد وزني تباعًا بعد ذلك، وزادت شهيتي وفجعي للأطعمة، وغدا نحول جسدي سمنة مترامية الأطراف، وشحومًا متراصة عند أسفل البطن وبين الردفين، اضطررت أن

أبدل معظم ملابسي التي لم تعد تناسب كرشي المتهدل، وشراء ملابس جديدة بمبالغ لم أحسب لها أي حساب.

بعد ثلاثة أشهر فقط، بعت سيارتي الصغيرة التي لم تعد قادرة على حمل جسدي المتنامي، لجأت إلى البنك وحصلت على قرض متراكم الفائدة؛ لدفع أقساط السيارة الجديدة ذات الكراسي الواسعة.

وزني الفائض عن الحاجة أفقدني القدرة على التنفس بشكل سليم، كنت ألهث لأتفه فعل أقوم به، حتى الكلام غدا يرهق رئتي فيعلو زفيري كعداء ماراثون أحرز رقمًا قياسيًا في الركض. وكنت كلّما توقفت عن الكلام لبرهة أغط في نوبة نوم طارئة لا تنتهي إلا إذا علا شخيري ليوقظني أحدهم وابتسامة تعلو شفتيه. لم تقنع خطيبتي بما آلت إليه حالتي ففسخت الخطوبة بتغريدة منها على التويتر، أما مديري النزق فقد وجه لي إنذارًا نهائيًا قبل أن يتخذ قرارًا بإقالتي من العمل لعدم لياقتي الصحية.

أنا لست محرجًا ولا غاضبًا من كل الذي جرى لي بسبب ترك الدخان.

ما هزني وأحزنني، أنني بالصدفة المحضة قبل يومين علمت أن قرارًا قد اتخذ خلسة بتخفيض أسعار الدخان.

اللعنة، ليش يصير معي هيك .حواليكو سيجارة فرط!!

2013 /1 /5

منع من النشر

في مراحل تدخيني الأولى كانت "تعفيطة" سيجارة خلف "سور" المدرسة بمثابة جنحة عند المدير، أما "النط" من فوق السور المحاذي لمدرسة البنات، فهو كارثة قد يتم على أثرها الإنذار أو الفصل التعسفي، وأسوأ الأمور بينهما هي مرحلة وصول الخبر إلى والدي وعلمه بذلك.

كان انتشال بعض رزم العدس من "كرم" الجيران، كفيلة بأن تُقوّم الدنيا ولا تقعدها، وليعقد (الوالد) بحقي مع المنشقين من إخوتي مجلسًا تأديبيًا عاجلًا، ولتنهال بعدها التوبيخات والبهادل على رأسي مصحوبة برشق غير منتظم من "الشباشب البلاستيكية"، ولربما رفش بالأرجل إذا تمت محاصرتي قبل الهروب.

آنذاك، كنا نستعين بمولد كهربائي يعمل على الديزل لإنارة البيوت، وكان التلفاز سلعة كمالية وغير متوفرة عند الجميع، ولمشاهدة أخبار الثامنة بالأبيض والأسود يلزمك وجود "أنتين" هوائي فوق سطح البيت يعانق السحاب.

أما الذهاب إلى المدينة، فإنه يحتم عليك الترحال لنصف نهار مستخدمًا أكثر من وسيلة نقل للوصول إلى قاع المدينة: حمار "أبو زياد" للشارع الرئيسي بأجر مجاني، باص صويلح عمان للمجمع الرئيسي بخمسة قروش، "سرفيس" الحج "محمود" حتى وسط البلد بسبعة قروش ونصف، وكان مختار القرية هو الوحيد من يحتكر هاتفًا أرضيًا يدار عن طريق عامل مقسم يتنصت على نصف مكالمات أهل القرية.

في تلك الأيام، كان المنع "مجموطًا" لدى الجميع، وكانت الخطوط الحمراء ذات هيبة ووقار ومقبولة لكلا الطرفين: المانع والممنوع، حتى العقاب كان له طعم مختلف مردّه أن الطاعة لمن يستحقها.

لماذا أصبح المنع في الوقت الحاضر منزوع الهيبة ومرفوضًا؟

لماذا انهارت قيم المنع ومشتقاته: الحكمة، الرزانة، الاحترام، الرأي والرأي الآخر، حرية التعبير. وهذا الانهيار مدعم بتجاهل واضح لما يحصل في العالم من ثورات إعلامية أودت بأنظمة دول برمتها، مع تغافل أن طفلًا بعمر خمس سنوات قادر على جلب أي معلومة كانت ببضع ثوان، وأن المعلومة ذاتها لم تعد تطلب بل غدت تأتيك طواعية إلى حيث كنت.

"منع من النشر" وكبت حرية الكلام أو التعبير واعتقال الفكرة، ما هي إلا رسالة واضحة بوجود خلل جسيم في آلة الإعلام الرسمية، وينذر بأن "الأكمة" ومن وراءها ما تزال تخفي الكثير من الأسرار المترصدة بأقلام المبدعين وآرائهم وحقوقهم، وأن هذه "الأكمة" لم تعد كافية لتغطية عورات يسهل كشفها بوسائل إعلامية أخرى.

أصبح الإعلام الرسمي وبكافة أشكاله سواء أكان مُتلفزًا أو مكتوبًا أو حتى محكيًا عن طريق الناطق الإعلامي بلا نكهة ولا لون، وحدها رائحته هي الباقية، ويا لها من رائحة! والتحجيم والتكميم أضحت وسائل مترهلة وغير مقنعة أمام انتشار وسائل تكنولوجيا تجعل وصول المعلومة مجانية.

هنالك حلان لا ثالث لهما، إما أن تعيدنا الحكومة إلى زمن الأبيض والأسود، أو أن تراجع منظومتها الإعلامية التي عفا عليها الزمان.

وشخصيًا إذا خيرت بين الاثنتين سأختار الأولى بلا شك.

2012/12/27

صَبّة مَيلان

وخير اللهم اجعله خير، رأيت فيما رأيت...

أنني كنت أبحث عن عامل لنقل أكياس "الشميمتو" على سطح بيتي لإكمال "صبة الميلان"، لكنني لم أفلح بذلك؛ فقد خلت المدينة عن بكرة أبيها من عامل "باطون"، فرجعت قافلًا إلى حيث الأكياس ملقاة، وبدأت بحمل الواحد تلو الآخر، وبرغم أنني أعاني من "ديسك" في الفقرتين الخامسة والسادسة، وانزلاق غضروفي في الرابعة، إلا إنني تحاملت على وجعي، وحملت أول كيس صاعدًا للأعلى.

ولسوء حظ وقلة حيلة، فقد تعثرت قدماي بإبريق قديم كان العمال يستخدمونه لغلي الشاي، فانكفأ الكيس منقلبًا على الدرج، تاركًا المكان بفوضى عارمة.

كان الإبريق مهملًا، "مطعجًا" ويغلفه "الشحبار" من جميع جوانبه، لا أعرف ما الذي دعاني لأن ألتقطه وأمسح "الشحبار" عنه، لينبلج الإبريق فجأة عن مارد أخضر طاولت بنيته سقف البناء.

حبست أنفاسي من الخوف و"عسعست" وجهي متوجسًا من هول المفاجأة.

كان المارد ملثمًا بشماغ، ويلبس بدلة فوتيك خضراء اللون، بروز أنفه الذي غطاه الشعر جعلني أضحك برغم خوفي الذي لم أستطع إخفاءَه.

كنت أنتظر أن يقول المارد "شبيك لبيك"، لكنه سعلَ بشدة قبل أن يشعل سيجارة (فيلادلفيا)، ويرمي علبة السجائر الفارغة في وجهي.

- "خير يا طير، شو مالك تتطلع فيّ"، قال المارد وعيناه تقدحان شررًا.

لم أقو على الإجابة، فقد عقد الخوف لساني أمام كشرته التي حفرت على وجهه تجاعيد تركزت تحديدًا بين الحاجبين.

كان المارد يسد منفذي للهرب أو الاستنجاد، وبحكم جثته الضخمة التي بالكاد اتسعت لها الغرفة فقد تسنى لي أن أرى "قنوته" التي تدلت من على خاصرته.

- "شو طلباتك، احكي، خلصني"، زمجر المارد، ثم مد يده في جيبه وكأنه سيخرج مالًا.

- "ولا إشي، رضى من الله سيدي، بدي تكون سالم وغانم"، تمتمت كمن يلفظ أنفاسه الأخيرة.

عندها، كشف اللثام عن باقي وجهه، وتنفس الصعداء. كانت أسنانه الأمامية مخلوعة بالكامل، وقد تعرض جانب وجهه الأيمن لكشط غائر بأداة حادة.

- معقولة يا زلمة ما بدك إشي، ولا حتى خمس نيرات؟ قال المارد هازئًا، ثم أخرج يده من جيبه.

- "على كُلٍّ، عندك طلب واحد تطلبه مني... بس بشرط ما يكون متعلق بالحكومة، شايف... ثم أشار بأصبعه إلى حيث الندبة فوق خدة.

تململت في وقفتي متمتمًا بطلباتي: عدالة، مساواة، نزاهة، تخفيض أسعار الكهرباء والمياه والكاز والغاز واللحمة والبيض والحديد والإسمنت، محاربة الفساد، مواطنة، ولاء، انتماء، فرح، سعادة، عيش كريم...! أي واحدة سأختار منها؟

قهقهه المارد هذه المرة حتى اغرورقت عيناه بالدموع، ثم قال: أبشّرك ولا وحدة، قلتلك بلا من هالسياسة، اطلبلك إشي نقدر عليه.

تلعثمت حينها، وجال بخاطري أن أنفجر بالبكاء، لكنني تداركت ذلك عندما تذكرت صبة الميلان والأكياس الملقاة.

- بدي أنقل أكياس "الشميمتو" إلى سطح البيت، هل هذا مطلب سياسي أيضًا؟

- أكيد لا، بس هاظا البيت مرخص وإلا لا؟ قال المارد بلهجة آمرة متفقدًا جوانب البناء بعينيه.

ازداد وجع ظهري مجددًا، هل يوقظني أحدكم من حلمي هذا!

خير الله اللهم اجعله خير.

2012/12/19

لا يموت "الذيب"

بانت أسنانه، فانتفض الرعيان من حوله، تاركين القطيع بدون صاد أو رقيب.

نظر بعين ثاقبة إلى القطيع، كانت الخراف واجمة، هزيلة، متفرقة، في انتظار إراقة دماء أحدها. قلّبَ "الذيب" في رأسه فكرة التهام أكثر من شاة في نفس الوقت، لكنه تذكر اتفاقيته مع "الكبش" الكبير (ألا يموت "الذيب" ولا تفنى الغنم)، فعدل عن الفكرة مختطفًا أحد الخراف الضعيفة، شارخًا ضجيج الصمت ومنهيًا ليلته بصيد ثمين.

كان يجرّ الخروف المدمي أمام عيني "الكبش" بصعوبة بالغة، ابتسم بوجه "الكبش" عندما تلاقت العيون، كعلامة على حفظه لاتفاق دام سنوات طويلة، كان خلالها يختطف خروفًا واحدًا، برضى "الكبش"، وبقاء هذا السرّ بعيدا عن علم الخراف، فموت خروف واحد سيضمن بقاء "الكبش"، وعدم فناء القطيع.

عندما وصل لوكره، أحسن بوهن شديد، وبحرارة تسري في أوصاله، لقد اصطاد الليلة أضعف خروف في القطيع، ومع هذا فقد أجهده الركض وعلا صوت لهاثه، وداهمته مشاعر ملل وخوف، ماذا! هل يخاف "الذيب"؟ نفض رأسه من هذه الفكرة، ثم رمى ضحيته أمامه، لكن سقوط أحد أسنانه الملطخة بالدماء، أيقظ الفكرة مرة أخرى. نعم، لقد شاخ "الذيب"، ولم تعد لعبة الصيد ممتعة له كما في الماضي، حتى ضحاياه كانت تترك في آخر الليل كما هي، غير مأكولة وعرضه للنسور.

- لم يعد "الذيب" كسابق عهده، فكر "الكبش" مليًا.

- أُقسم أنَّ حبات العرق ملأت وجهه المسّن، وعضلاته لم تقو على حمل أصغر خروف لديّ في القطيع، هل حان الوقت إذن، أيعقل أن يموت "الذيب"؟

أعدّ "الكبش" العدّة مع بداية الربيع، ثغا بالقطيع لثورة بيضاء تنهي دكتاتورية "الذيب"، والتخلص من حمل ثقيل لاتفاقية قبض ثمنها طويلًا، ولم تعد صالحة بضعف "الذيب" وظهور شيخوخته.

كانت جموع الخراف، تتبع "الكبش" صوب جبل "الذيب"، أحس حينها أن الخراف غدت كالذئاب كلما اقتربوا من وكر "الذيب"، فصوت الثغاء غدا عواءً، وتبدّل الصوف بشعر غزير.

لم يفهم "الكبش" شعور الحزن الذي تملكه عندما انقضّت الخراف على "الذيب" المسن، كان يفرك عينيه من دموع ذرفت عنوة عنه، من قسوة قتل "الذيب" وتشويه جثته. دبت الفتنة بين الخراف، وتحولت الوداعة إلى مشاهد قتل مروعة.

حدق بهم مجددًا، فعرف أن "الذيب" لم يمت بعد، وأن مئات الذئاب قد أحاطت به من كل صوب. لم يمت الذيب، لم يمت الذيب!

وحدها هي الأغنام التي فنيت.

2013 /3 /16

الطاسوس

اقترب الحاجب من رئيس الحكماء....

كان يجلس بصمت فوق كرسيه الذي طعم بالماس والأحجار الكريمة، فيما تناثرت من حوله صنوف الأطعمة والفاكهة وما لذّ وما طاب منها:

- "سيدي... تقرير الأخبار لهذا اليوم". همس الحاجب بصوت متهدج ثم مدَّ يده بالتقرير.

أمسك الطاسوس اللفافة وقرأ بملء صوته:

- "وهو الطاسوس الذي سلب العباد الأمان وأورثهم الألم والجوع...

مكوس وضرائب وغلاء في العيش، وقلة في المحاصيل والزرع والبيع... هذا ابتلاء من السماء اسمه "الطاسوس" فأسقطوه، فإنّه إنْ دخل مدينة أفقر أهلها وأفسد مالها بغبائه و ..." ... لم يكمل ...

قام من مجلسه كمن تلبسه الجنّ، انتفخت أوداجه ثم تزعنفت أذناه كسمكة قرش، صرخ لقائد العسس أن يجمع مجلس الحكماء في هذه الساعة.

قال "الطاسوس" بعد أن تشرنقوا حوله: من نشر هذا الخطاب عنى، وأشار إلى التقرير بيده منددًا أمام المجلس.

- "إنه الشاعر يا مولاي، شاعر المدينة وخطيبها"، قال حكيم الإعلام.

-"ومن نقل الخبر لعامة الشعب" ... سأل الطاسوس بحنق شديد.

"- إنه حمام المدينة ونساؤها"....

كانت سلالم الغضب تتصاعد فوق محيا الطاسوس كلما أوغل الحكيم بشرحه.

-"أحضروا لـي الشاعر أيها الحمقى"

نفث الطاسوس غضبه، ثم أشار إلى قائد العسس الذي تحودب كسلحفاة من أمامه.

هرع كبير الحرس لإحضار الشاعر، مخلفًا جموع الحكماء في هرج ومرج.

جيء بالشاعر بعد ساعة مكبلًا بالأصفاد ودماؤه تعلو وجهه.

كان الحكماء يتوجّهون بالدعاء بسرهم كي ينتهي هذا المشهد على خير.

-"اقطعوا رأس هذا الزنديق"، انتفض الطاسوس من مجلسه رافعًا قبضة يده اليمنى وملوحًا بها أمام الحكماء...

ثم استرسل بحكمه: "وليصدر مرسوم بقتل كل الحمام في المدينة .... حالًا".

كان العراف يشب النار في زاوية المجلس .... قال مخاطبًا النار:

-"وتحرم النساء من الكلام"، ثم استدار لمجلس الحكماء.

انتبه "الطاسوس" لكلام العراف، وأمر بأن تقطع ألسنة نساء المدينة واحدة تلو الأخرى. دقّت طبول المدينة إيذانًا بحرب على الحمام وخطباء المدينة وشعرائها، وتقطيع ألسنة نسائها، وتكميم أفواه رجالها.

طار الحمام بعيدًا عن المدينة، ولم تستطع الرماح منعه من نقل الأخبار، ولم يستطع حراس "الطاسوس" اصطياده.

كان يلتقط حبات القمح ليعاود الطيران، منتقلًا بين البيوت منددًا بقرارات "الطاسوس".

قال العراف: "أحرقوا الحنطة كي يموت الحمام".

ومات الحمام.

كانت المدينة تغلي من القهر على حرية سلبت عنوة منها.

لا حنطة في البلد ... لا حمام ... لا أمل.

5/ 9/ 2012

قرض حكومي

أريد أن أعود بالعمر عشرين عامًا، هل تسمح لي الحكومة بذلك؟ لربما ثلاثين وبما تجود به نفوسكم، إلى الوراء قليلًا، بدون أي اعتصام أو إضراب أو خلاف في الود، دون ازدحام أو فوضى أو تعكير مزاج، أو اصطفاف في طوابير دعم مشتقات البترول، وبدون مزاودات على لقمة العيش التي امتزجت بأهواء وغرائز أصحاب قرارات فردية وقوى شد ورخي عكسية، أعيدوني ولو لساعة واحدة دون انتظار لمجهول لن يأتي، هو طلب من باب التسوية لا أكثر على سنوات زادت بصحبتكم عن الحاجة ولا أحتاجها، ففي عشرة أعوام خلت، زاد عمري خمسين عامًا، كهولة مبكرة ما قبل الأربعين.

إلى الخلف تمامًا، إلى ذلك الزمن الجميل الذي أجزم أن أحدًا منكم لا يتذكره، زمن ما قبل الصفقات الرخيصة التي أكلت الأخضر واليابس، زمن ما قبل الخصخصة واللص-لصة وحلول الفساد، وما قبل عهد الرفع والغلاء واستلاب المال العام، إلى زمن المساواة واحترام الحقوق.

إلى الزمن الذي كنا فيه طفارى بملء إرادتنا وليس رغمًا عن أنوفنا، نحتكم على بضعة قروش حمراء بجيوبنا، ولكنها ذات قيمة كبيرة، نغدق بإنفاقها ولا نشعر بالجوع، لا نحسّ بالفراغ وثقل الدين، ولا نختبئ عن أطفالنا في العيد؛ لضيق في الحال أو عسر في المال، زمن، كان الكلام فيه مباحًا، وكلمة الحق مسموعة والحكمة مطلوبة، لا نلبس فيه "بدلات" منشأة أو ربطات عنق ملونة، ولا نركب سيارات فارهة، ولكننا مع كل ذلك كنا سعداء.

أعيدوني ولن نختلف على بضع سنين في الجمع والطرح، فأنتم أصحاب الحسابات الختامية والعجوزات المالية والقرار قراركم، لله يا محسنين، فهل تقرضونني شيئًا من السعادة؟

2012/11/21

شوير الشيخ

في المسلسلات البدوية، يتكرر مشهد الشيخ ذي النوايا السيئة، "مُنبطحًا" في منتصف "بيت الشعر"، وبيده اليمنى عصًا ينكث بها التراب، بينما يجلس بجانبه رجل أحول بشارب كث ولحية مجعدة. ذلك الرجل يسمى "شوير الشيخ"، وهو شخصية جدلية غير جذابة على الإطلاق، ومكروه من باقي أفراد القبيلة، لكنه يستمد قوته من الشيخ مباشرة.

في المشهد نفسه أيضًا، يجلس وجهاء القبيلة قريبًا من مجلس الشيخ كل حسب مركزه الاجتماعي، يتحدثون بهمس حول قرار وشيك لتخفيض حصص مياه سقاية الأغنام لصالح ماشية الشيخ، وما يلبث الشيخ أن يقطع توجسهم "بنحنحة" مفتعلة، ليميل بجسده نحو "شويره"، الذي يطيل الهمس بأذنه، ثم يأمرهم بالانصراف؛ لدراسة الموضوع مع "شويره"، وبعد فترة وجيزة، يخرج الشيخ بقراره المجحف بخلاف رأي وجهاء القبيلة ورعيانها.

"شوير الشيخ"، الذي يلجأ الشيخ إليه عادة في كل صغيرة وكبيرة، وفي حسم الأمور المعقدة، والتي تحتاج إلى حلول جذرية بأقل الخسائر، يعتبر عين الشيخ التي يرى بها، وعقله الذي يفكر به، ويتم مشاورته في الأمور التالية: حصص الشيخ من محصول الحنطة في آخر الموسم، غنائم الغزوات من القبائل الأخرى غير الصديقة، خطط الشيخ الغرامية للإيقاع بفتاة جديدة في حبه، مؤامرات الشيخ ضد مريدي الشيخة والطامعين في أملاكه، تنظيم أمور المراعي وأحوال الرعيان، والاقتطاعات العينية من أجورهم؛ نتيجة لموت شاة أو إهمال في رعي القطيع.

مشاورات رئيس الوزراء التي (صرصع) رؤوسنا بها لرفع الدعم عن أسعار السلع والمحروقات - والتي توسمنا بها خيرًا في أول الأمر- لم تخرج عن مشهد "شق الشيخ"، الذي لا يستمع لأحد غير "شويره" أحادي الجانب عند اتخاذ القرارات المجحفة بحقهم

وغير المقبولة شعبيًا، لم نسمع عن أي دراسة اقتصادية أو تحليل علمي مقنع أجرته الحكومة لآلية الدعم والأسس التي استند عليها الرئيس لتنفيذ قرار رفع الأسعار.

وبالفرض "الساقط" أن الحكومة أجرت هذه الدراسة السرية خلال فترة المشاورات التي لم تزد عن أسبوعين، وأنها قامت بتوظيف عباقرة من علماء الاقتصاد والإحصاء الافتراضيين؛ لتحديد فئة المستفيدين من الدعم، ونسب ارتفاع الأسعار، وانعكاساتها السلبية على كافة مناحي الحياة، فمن حقّ المواطن الاطلاع عليها بشكل شفاف، وبدون مواربة بالأرقام وتخبط واضح في سياسة أحوال البلاد الاقتصادية.

لا أعتقد أنّ "شويرًا" واحدًا يكفي لقرار بمثل هذا الحجم والأثر، وأجزم أن "الشوير" قد أخطأ مرة أخرى في إسداء النصيحة للرئيس، الذي أشعل فتيلًا جديدًا من الإضرابات والاعتصامات، كان من الممكن تجنبها فقط بإيجاد بدائل أخرى غير جيب المواطن.

"عمي الشيخ.... أرخص إلنا، ورآنا اعتصام ودنا نلحقه"....

2012/11/15

البلطجي

كنا قديمًا، نلعب بألعاب بسيطة، قريبة من النفس، نختبئ خلف شجرة لوز، نعد حتى العشرة، ثم "نكمسر" معلنين فوزًا "مكمسرًا". نهيم بين الجبال، نلتقط "السحالى" والزهور، نجر "علب السردين" ونعتبرها سياراتنا الفارهة، نحفر حروف أسمائنا على شجر اللوز والصنوبر، ونمسك بالغيوم المسافرة نحو أرض بعيدة كنا نسميها بأسمائنا الخاصة.

لماذا تغيرت ألعاب الأطفال في أيامنا هذه؟

ما الذي حلَّ بعقول صغارنا وأفئدتهم وعنفوانهم وتغير عليهم ليغيروا طريقة لعبهم؟ هل هى طريقة العيش ذاتها؟ أم أنَّ لديهم هم أيضًا ربيعًا عربيًا جديدًا يقرع أبوابهم، انتفضوا عليه وأسقطوا شعائره وأركانه، وأصبح لديهم معارضون يطالبون بإصلاح حقيقي وإرجاع لحقوقهم الضائعة؟

لماذا أصبحت ألعاب الأطفال "مبلطجة"، وتحولت إلى بنادق و"مسدسات" وسيوف بلاستيكية خادشه لمظهر اللعب النظيف؟

من أمام شرفة منزلي، ألمحهم كل يوم يلعبون. يتحوصل الفرقاء في جيشين متضادين؛ معارضين وبلطجية، خلافهم على "كرة" اصطدمت بأحدهم بغير قصد، أو على ترسيم حدود لمناطق اللعب.

أحد الأطفال يحمل بندقية، كرشه متهدل أمامه وأوداجه منتفخة كبالون سيرك، يسير بخيلاء، حافي القدمين، ويرافقه ثلاثة أطفال آخرين، يزمجر مهددًا طفلًا صغيرًا ببندقيته، أجزم أنه سيضرب الطفل الصغير الآن، هل سيضربه؟ ... نعم، وينكزه بكعب البندقية على رأسه.

يتقهقر الطفل المغلوب على أمره، مطلقًا صرخة إفلاس وانسحاب من "محمية المتهدل"، فيما تتعالى ضحكات البلطجي وأعوانه.

يصطف الصبية المناهضون لذي الكرش على الطرف الأخر من الشارع، تخلو أياديهم من أي أسلحة أوتوماتيكية. فلا حول لأي أحد منهم بقوة البلطجى وأعوانه، فهو شديد البأس صعب المراس، ولديه أعوان ينتشرون على أطراف الشارع، وهم عديمو الشفقة وفاقدون للإحساس بالذنب.

والبلطجى سيد الموقف دائمًا، ولا يجرؤ أحد على مخالفة قواعده، "فالأرزاق" تأتيه على طبق من فضة... "الشيبس" و"المصاص" وهدايا الآباء والأمهات وكعك العيد المحمص، وهو إن يتذوق صنفًا لا يعجبه، يبصق بجانبه، ثم يرميه بوجه الطفل المغلوب على أمره.

لم يكن اليوم ككل الأيام السابقة، فحشود الأطفال المقموعين من البلطجى غزت المكان بسرعة كبيرة، فيما كان البلطجي وأعوانه ينتظرون مرور المعارضين من أمامهم.

هل يفكر الأطفال بانتفاضة ما؟

في أقصى الشارع، تقبع طفلة صغيرة تنظر لذي الكرش بخوف وحيطة، ما الذي تفكر به هذه الصغيرة؟ هل لجم الخوف لسانها، تضم بكلتا يديها "دمية" منزوعة الشعر، تتسربل في فستان اتسخت أطرافه وتغبرت معالمه، يرمقها "البلطجى" من بعيد، ويهدد ببندقيته البلاستيكية في دعوة لأن تختفي من أمامه لكنها لا تأتمر.

يقترب منها وأعوانه يحيطون به، ترتجف الطفلة، تنكمش على نفسها كحلزون هلامى، ينتزع الدمية من بين يديها بدون أي مقاومة منها، يرميها على الأرض ثم يدوس عليها، حتمًا ستنهار الطفلة بالبكاء، هل فقدت عقلها؟ لم بقيت واقفة أمامه؟ سيسحقها بلا شكّ، لكن الطفلة لم تحرك ساكنًا، بل طلبت منه أن يعيد لها دميتها، يضحك "البلطجى" وأعوانه من طلب الفتاة، لكنها تمد يدها وتلتقط دميتها، ثم تصفعه بيدها الأخرى على خده.

لم يتوقع البلطجى ولا أعوانه الصغار ردّ فعل الصغيرة، كان الجميع ينظر إلى "البلطجى" الذي وجم كتمثال قديم. هل ستبدأ الحرب؟ كيف سيعالج البلطجى فقدان هيبته أمام "حراك" أطفال الحارة .لكن البلطجى انفجر بالبكاء. وهرع بالفرار من وجه الفتاة.

من علم هؤلاء الصغار هذه "البلطجة"؟

هل هو أنا، أم أنت، أم أنتم؟

كلها ضمائر "حاضرة" لكنها تفيد "الغياب".

2012/10/4

الرصاصة والفيل

ما الذي يفكر به رئيس الوزراء هذه الأيام، تمامًا قبل الرحيل وقبل الوداع الأخير، هل يفكر في ذاته؟ أبدًا، فتفكيره للرمق الأخير سيكون بالوطن والمواطن، لعله يستذكر مسيرة حكومته، والإنجازات التي تمّت في عهده، وما تمخض عن سياسته الحصيفة من نمو مضطرد في الاقتصاد، واختفاء البطالة، وانخفاض في الأسعار إلى أدنى مستوياتها، ورضى المواطن التام عن توافر الخدمات وجودتها، ناهيك عن الفائض المالي المحقق للموازنة، وميزان المدفوعات، والنهضة العمرانية التي اشتدت في عصره.

هل كان الوقت كافيًا للمزيد؟ يهز الرئيس رأسه نافيًا وعاضًا على شفتيه بأن الكثير قد بقي في جعبته.

ولربما يمر شريط ذكرياته بالأوضاع السياسية بالبلد، التي ضبطها بحنكة عبر سنّ قوانين وتشريعات عصرية أراحت الشارع، وهدأت من روع المواطن ومطالبه السياسية إلى غير رجعة.

فماذا يريد المواطن بعد: مدارس مجانية، تأمين طبي له ولأسرته، شوارع معبدة، كهرباء على مدار الساعة، دكاكين منتشرة في أرجاء البلاد، مياه مدعومة تصل كل بيت، أمن وأمان .... كلها متوفرة.

سيتنهد الرئيس هنا، ويجلس على أريكته الصوفية مطمئنًا، واضعًا يده على خده كأنه "تشي جيفارا" يوم اختفائه، ولكن ماذا بشأن الضمير، هل هناك أي تأنيب للضمير على الحراكات الشعبية والاعتصامات اليومية التي تشهدها البلد؟

على الأرجح: لا، فالربيع العربي أفرز هذه الاحتجاجات بشكل عفوي، وهي حالة صحية في كل بلد، وقد أصبحت عادة عند المواطن يقوم بها في وقت فراغه، فالمعتصمون يمارسون حياتهم بشكل طبيعي واعتيادي بعد انتهاء أية فعالية، وعاجلًا أم آجلا ستختفي هذه الحراكات كاختفاء الرصاصة في جسد فيل...

هكذا سيفكر الرئيس مبتسمًا لفكرة الفيل والرصاصة.

لا يزال يذكر ما قاله له أستاذ الفيزياء، عندما كان طالبًا في الصف السادس، بأن الماء يتحول إلى أشكال عديدة ومنها البخار، ومثلها الأزمات والحراكات تمامًا، فالزمن كفيل بإذابة أي خلاف كائنًا ما يكون بقليل من الحرارة والصبر.

ما الذي سيفعله بعد انقضاء ولايته؟

هل سيذهب في رحلة استرخاء إلى "شرم الشيخ"؟ حتمًا لا!

من الممكن أن يستثمر في شركة صغيرة ما، بعيدًا عن السياسة ووجع الرأس .... هذا كلام لا يقبله العقل!!

يتجهم الرئيس لهذه الفكرة، ويشد بإبهامه وسبابته على أعلى جبهته مبديًا عمق تفكير وسهوم.

يرجع شريط الذكريات مرة أخرى إلى حادثة الفيل، لطالما أعجبه أن يكون "الفيل ذاته"، لقد ملَّ من كونه الرصاصة الشافية، ولم لا، فالماضي السياسي غني ببطولات ومواقف مشهودة يذكرها القاصي قبل الداني، وهي بلا شكّ بوابته لرد الجميل للمواطن.

يبتسم مرة أخرى ويقوم من على أريكته، ثم يضرب كفًا بكف كمن وجد ضالته.

- أجل، سأصبح معارضًا، نعم أنا معارض.

2012/10/2

قاعد عالجاعد

قد يستغرب البعض سرّ تأخر بعض الأمم، وتردي أحوالها الاقتصادية، برغم توافر الموارد الأساسية اللازمة لذلك، بينها تتقدم دول أخرى اقتصاديًا، رغم قلة الموارد المتاحة لديها.

السرّ ببساطة، هو "القعود"، أجل "القعود" بعينه الذي نعرفه جميعًا. فكلمة "قاعد"، تكاد تقترن مع معظم الافعال التى نستخدمها في حياتنا اليومية، فهى اسم فاعل لشخص "قاعد" وعلامة نصبه "القعدة"، ومهما فعلت في الأردن، فإنك "قاعد"، بصرف النظر عن طول ساعات عملك أو قصرها.

قد تسأل لاعب المنتخب الذي يمضى ساعات في الملعب عن استعداداته لمباراة حاسمة، فيجيبك بأنه: "قاعد يتدرب بجد"! وأنه مستعد للمواجهة، كيف ذلك؟ ويؤكد مدرب المنتخب أيضًا بأن فريق النشامى: "قاعدين" يبذلون مجهودًا مضاعفًا بالتدريب قبل مباراة الصين، أستغرب ماذا يفعل المنتخب الصينى قبل المباراة، هل يعقل أن يكونوا هم أيضًا "قاعدين"؟

ذات الإجابة قد تأتيك من زوجتك التى تعدّ وليمة الغذاء في المطبخ، وتتناثر من حولها الصحون والطناجر، فهى "قاعدة تطبخ". وعامل النظافة الذي يكنس الشارع أمام بيتك – وبرغم حركته الدائمة وهو يجر "عرباية القمامة"، فهو "قاعد" ينظف الأرض. وسائق التكسى الذي يمضى عشر ساعات في العمل هو في حقيقة الأمر "قاعد" يسوق. وأستاذ الجامعة "قاعد" يدرس. والمراهق الذي يختلس الوقت لرؤية حبيبته هو ببساطة "قاعد يحب". حتى الفاسد الذي نهب موارد البلاد وخيراتها كان قد تم ضبطه وهو "قاعد يسرق". ولربما لو سمح الموقف وسألت أحد العصافير المحلقة في سماء الوطن عما يفعله سيجيبك: "قاعد" أطير. القطط أيضًا "قاعدة" والذباب والناموس والرخويات وحتى السرخسيات.

رئيس الوزراء شخصيًا، وفي أية مناسبة للحديث عن أحوال البلاد أو اقتصادها سيجيبك بأن الحكومة "قاعدة" تبذل قصارى جهدها لتحسين معيشة المواطن "القاعد"، وأن رفع الأسعار لن يستهدف الفئة "القاعدة"، وسيؤكد لنا بأن الهيئة المستقلة للانتخابات "قاعدة" ليل نهار من أجل إجراء انتخابات نزيهة وشفافة على مستوى "القعدة"، وقد يوضح أيضًا بأن الخلية الإرهابية التى تم اكتشافها مؤخرًا، هى من تنظيم "القاعدة"، وقد يشيد بإنجازات مجلس النواب السابق الذي أمضى مدة سنتين وهو "قاعد"، وتمخض نجاحه بإقرار عددٍ من القوانين والتشريعات التى تعزز مبدأ "القعود".

أما "الراعى" الذي يهيم بالخراف والجديان في فيافي هذا الوطن، ويتبعه القطيع بصمت ووداعة، ويحركهم بعصاه، وينهرهم ويحبسهم في الحظيرة مساء، ويفك أسرهم في الصباح، ويصنع من صوفهم "جواعد"، فهو الوحيد "القاعد"، ولكن قعوده مختلف عن كل الآخرين؛ فهو ببساطة "قاعد على جاعد". حتى أنا في هذه اللحظات، "قاعد" أكتب هذا المقال، وأنت عزيزي القارئ أيضًا "قاعد" تقرأ دون أن تدري أنك بالنهاية "قاعد".

فهنيئًا لنا قعودنا ودمنا شعبًا "قاعدًا" قرير العين والفؤاد.

وكل عام ونحن "قاعدون.."

2012/10/28

"احجب ولا يهمك"

لطالما تساءلت أن: كيف ستكون ردة فعل وزير الإعلام بأول مخالفة تضبط لقانون المطبوعات والنشر من قبل كاتب مقال أو جريدة إلكترونية؟ أجزم بأنه سيبتهج، ولربما أعطى بشارة لناقل الخبر خمسة دنانير حمر. وسينظر المبشر إليه باستغراب؛ ليتدارك الوزير أنّ حجم المكافأة أقل من البشارة.

- "ها، سبع ولا ضبع"...سيهتف الوزير.

وسيرد المبشر:

- طبعا "سبع" سيدي، أول مخالفة صريحة للمادة تسع وأربعين من الفقرة ألف للجملة ثلاثة في السطر الرابع وللكلمة الثامنة والحرف (خ) تحديدًا.

سيضحك الوزير هنا حتى تبدو نواجذه ثم يسأل:

- "وشو المخالفة؟"

- "تعليق من واحد اسمه"... "القاضي الفاضي".

- "أيوه ... طيب شو اسم الجريدة؟"

- "اسمها بالبنغالي سيدي... والله نسيته".

-".... ليش وين موقعها؟"

- "بنغلادش سيدي"... ويستطرد "المبشر" بالشرح، لكن الوزير يومئ له بالتوقف:

"عفارم، عفارم، عفيه والله"... ويتنفس الوزير الصعداء.

و"عفارم" تعنى الرضى والتقدير لجهد المبشر وكل القائمين على الحجب والإغلاق والمراقبة.

هل سيقيم الوزير حفلة بعدها؟ حتمًا... ومن المرجح أنه سيدعو كل المعنيين بهذا "المولود" من نواب وأعيان ومتطوعين، وكل الذين بذلوا جهودًا خارقة وسريعة لإتمام القانون، وستدعى أيضًا وسائل الإعلام الموافق عليها فقط من الوزارة، وسيقوم "كابتن فريق الحجب والإغلاق" باستعراض الخطة (ستة: اثنين: ثلاث)، التى استخدمها الوزير لتمرير القانون وإجازته، ثم سيكشف عن نية الفريق تخصيص طواقم سرية لمداهمة المواقع ذات النصوص والتعليقات المخالفة.

سيستعرض بعدها "خبير التعتيم والتكميم" إنجازات الفريق وجهوده في مراقبة الفيس بوك والتويتر والمدونات الشخصية والمواقع الإباحية والنصوص الأدبية ومقالات الكتاب وأخبار المواقع الإلكترونية والمطبوعة وقصائد نزار قباني وروايات عبير وقصص الغرام المرمزة، وسيطلب من الوزير شخصيًا الاستعانة بخمسمائة معلم لغة عربية لمساندة الفريق بهذا الخصوص.

حارس فريق "الترميز والتشفير والضبط"، سيقوم بعمل عرض توضيحى لخطة الدفاع المستقبلية للفريق، وسيقترح أن يتم توزيع مندوبي الفرق في المدارس والجامعات ومقاهى الإنترنت والمكتبات العامة والدوائر الحكومية والبنوك والمولات لمراقبة خطوط الإنترنت الضيق وعريض النطاق عن كثب أسوة بمندوبي ديوان المحاسبة.

الوزير سيلقى بعدها خطابًا ناريًا لتهنئة الحضور بأول "ثمرة ضبط"، وسيثنى على الجهود التى بذلت لتمرير القانون، وسيشدد على أن اكتمال النجاح معقود بعدد حالات الضبط والحجب، وسيطلق بهذه المناسبة السعيدة مبادرة "احجب ولا يهمك"، كما سيعلن عن نيته زيادة عدد موظفى الوزارة وموازنتها للعام 2013؛ لتتمكن من مراقبة العدد الهائل من المطبوعات الإلكترونية.

وسيكشف الوزير، وعلى هامش الحفل، عن مقترح لتغيير اسم دائرة المطبوعات والنشر لتصبح: "دائرة المصفوعات والحجب"، مؤكدًا في الوقت نفسه بأن أعمال المراقبة والحجب ستكون مستمرة على مدار الساعة، وأن الوزارة ستخصص "شفتات" ليلية ونهارية لضمان جودة المراقبة.

بالتأكيد سيسلم الوزير "المتميزين" دروعًا تكريمية، نُقشت عليها أسماؤهم ودرجاتهم في الحجب والمراقبة: "حجيب متمرس"، "ضابط مقص متحرك"، "بلدوزر مراقبة التعليقات"، "لقيط حريف للمواقع الإباحية"، "ضابط إغلاق جرائد إلكترونية"، ولربما وزعت على الحضور مقصات ملونة بأحجام مختلفة كجوائز تذكارية.

هل سينتهي الحفل عند ذلك؟

لا أعرف، اسألوا الوزير.

ملاحظة: جميع الشخوص والأحداث الواردة هى ليست من محض الخيال وهى تمت للواقع بصلة.

2012/10/28

كذبة

ناقش مجلس النواب في جلسته الصباحية اليوم "القانون المعدل لاصطياد الحيتان وأسماك القرش للعام 2023"، وشدد النواب على مراعاة الحفاظ على مخزون المملكة من الثروة السمكية والتى ساهمت بـ20٪ من نمو اقتصادنا الوطنى. هذا وقد أضيف على جدول المجلس "قانون ضمان طلاب الجامعات الحكومية"، والذي صوت من أجله 80 نائبًا من أصل 120، واعتبروا أن التعليم المجاني في الجامعات حق لكل مواطن أردني، بينما اعترض باقى النواب على المادة (111) من القانون، والتى تمنح الطالب راتبًا شهريًا مقطوعًا خلال فترة دراسته، وتضمن له (وظيفة) بعد التخرج. من جهة أخرى، طالب النائب "حمد الأحمد" الحكومة بتخفيض المساعدات السنوية والذاهبة لدول الخليج من (6) إلى (2) مليار دينار، وتوجيه الدعم إلى سائقى القطارات البطيئة، خاصة بعد الأزمة التي ألمت بهم بعد افتتاح "المترو الياباني السريع" في مجمع رغدان.

وقال الأحمد أن الحكومة ملزمة بالاستثمار في قرية "عفرا"، وإيصال خط جديد للقطارات السريعة لأهل المنطقة، والذي وصل عددهم مائتى مواطن على حدّ تعبيره. أما النائب د. رغد الرواغدة، فقد نوهت إلى حاجة الحكومة لإجراء فوري حول الغازات المنبعثة جراء إطلاق المكوك الفضائى الأردني الأخير، وشككت النائب بحديث وزير الطاقة بعدم وجود أي انبعاثات ضاره للإطلاق، كما أكدت على أن مشروع تحلية المياه بواسطة المفاعل النووي والمقام في "الموقر" له آثار سلبية قد يلمسها الجيل القادم في عام 2070. وحول الملف الاقتصادي، تحدث النائب "أسعد الأسعد" مفندًا الأرقام الصادرة عن الحكومة، مؤكدًا أن معدلات البطالة قد وصلت إلى 1٪ في نهاية عام 2039، وليس كما تم الإعلان عنها، واستشهد النائب بالبطالة المقنعة التى تشهدها بعض المؤسسات الحكومية.

كما رفض النائب الأرقام الرسمية الخاصة بمعدلات تضخم الأسعار، مؤكدًا أن التضخم قد تجاوز الـ2٪ بزيادة قدرها 1.5 ٪ عن العام الماضي، وقد رفض الأسعد أي زياده في الأسعار-ولو طفيفة-على المواطن. من جانبه، أكد رئيس الوزراء "شيخ المشايخة" وفي رده على مداخلات النواب أن الوفر المالي الذي حققته الخزينة والبالغ (60) مليارًا في ميزانية عام 2040 سيتم استثمار جزء منه لإقامة حدائق جديدة معلقة في قرى الشمال والجنوب، وسيستثمر الجزء المتبقى لإنشاء مدينة ألعاب للجمباز والتزلج على الجليد في جبل اللويبدة، وأبدى الرئيس استغرابه حول مزاعم بعض المواقع الإلكترونية نية الحكومة الاعتذار عن استضافه "دورة الألعاب الأولمبية" في الأردن العام المقبل. كان معكم ... من مجلس الأمّة، ديفيد الرواندة.

2012 /9 /15

قوانين إباحية

من وسط غيمة حاسوبه الافتراضية كتب: "وتنتهك حرياتنا ويستلب فكرنا في وضح النهار"...، ولكن شاشة حاسوبه المحمول تشوشت بخطوط عريضة، فحجبت الكلمات التي طبعها منذ هنيهة، لكنها ما لبثت أن عادت، تنفس الصعداء وتابع الكتابة:

"وتكمم الأفواه عنوة وقسرًا عنا، ويغيب عصر الحرية إلى غير عودة..."، عندها اختفت الأحرف هذه المرة من فوق سطح الشاشة تمامًا، غابت لدقيقة أخرى ثم ظهرت مبعثرة كأشلاء طائر ذبح على الطريق.

أحس بسخونة تسري في جسده لعدم تمكنه من إكمال مقالته، عالج لوحة المفاتيح بحنق، وكتب في أول السطر: "امتهان الكرامة يعنى حجب النظر والسمع والفؤاد، وأعني ما تمارسه الحكو"...

ولكن الشاشة تضاءلت حينها، حتى اختفى الكلام عن بكرة أبيه.

قام من مجلسه منتفضًا، ضغط مرارًا على زر التشغيل، لكن الشاشة بقيت حالكة كليل شتوي طويل، فيما ارتفع بين جنبات الحاسوب صوت رجل أجش: "أخى المواطن، لقد تجاوزت السقف المحدود لك من الحرية، سيتم حجب حريتك لمدة خمس دقائق، نرجو عدم تكرار ذلك في المستقبل، والتقيد بمواد قانون المطبوعات رقم 48 و49 ".

تمتم داخله متأففًا حول هذا الانقطاع، لاعنًا هذا القانون بسره، لكن الصوت الأجش عاد لينبهه ناهرًا: "أخى المواطن،"سامعينك"، لا يوجد داعى لهذه الحركات "النص كم" والتذمر، نحن نعمل من أجلكم". تحسس جسده بعناية، أمسك شفتيه بكلتا يديه، هل نطق فمى عن غير قصد؟ أيعقل أنهم يسمعون ما أفكر به؟ "أجل وبكل وضوح"، أجاب الصوت الأجش متحرشًا به هذه المرة.

كان يحاول خداع رقيب المطبوعات بتشتيت أفكاره، فكر بأشياء تافهة وغير مهمة البتة، صنبور الماء الذي زاد رشحه كلما حاولت إغلاقه، رقعة شطرنج ارتمى جنودها على سطح المعركة وما عادوا قادرين على الوقوف، دمية قديمة انتزعت ثيابها عن سوء قصد، ممحاة قضمت من منتصفها ولكنها ما زالت صالحة للاستعمال، مقص قماش رخيص الثمن يعتلي فستان عرس لم يلبس بعد.

فكر وفكر وأطلق خياله حتى أحس بالارتياح.

- "وفقًا للمادة 10 من قانون الأفكار ووجهات النظر، يحظر التفكير بأكثر من موضوع واحد بنفس الوقت". قال الرقيب بلهجه رصينة.

كانت فترة الحظر على الحرية قد انتهت منذ هنيهة، ضحك بداخله وعاد لحاسوبه المحمول مرة أخرى، داعب فأرته، فانبثق أمامه موقع مصور، أخذ يتنقل بين الصور ولكن الصوت الأجش صادر صورة لفتاة ظهر طرف يدها.

- وماذا بعد؟ ما بها هذه الصورة؟ قال محدثًا نفسه.

- "الصورة التى تودّ مشاهدتها، محظورة، وتعتبر إباحية من الدرجة السادسة وفق قانون المواقع الإباحية رقم 16/ 2012"، امتعض بصمت، ثم تابع تقليب الصور، كانت الصور تظهر بشكل مضحك للعيان، صور قد أعمل الرقيب مقصّه فيها فغدت كشخوص كرتونية.

علق على إحدى المقالات المنشورة بحروف مرتجفة: "وللحرية الحمراء باب بكل يد مضرجة يدق"... وأرخى أصابعه من فوق لوحة المفاتيح منتشيًا بالنصر.

لم يمهله صاحب الصوت الأجش ليكمل نشوته، زمجر بصوت لطخ غيمته الافتراضية: "لقد اخترقت السقف هذه المرة، وقد أبيحت حريتك بشكل نهائى، سيصلك مندوبنا خلال عشر دقائق، ننصحك بتوديع من تحب".

أجال النظر، أحس بوداعة لم يعهدها من قبل، كانت السماء زرقاء لا يخالط صفوها أي غيمة، أسند جسده المثقل فوق غيمته وغفا.

2012 /9 /12

منتجع الزعتري

أفاد رئيس الوزراء أن مئتي لاجئ في منتجع الزعتري قد تم إرجاعهم من حيث أتوا لتجاوزهم القانون، أي إلى حيث القصف المُسلي، والدمار المحبب، والشبيحة أصحاب القلوب البيضاء، وقطع رؤوس الأطفال، واغتيال النساء والشيوخ، ولعبة رمي الجثث من فوق أسطح العمارات المضحكة.... الخ من مسلسل الرعب الجديد الذي طرح بالأسواق مؤخرًا.

وأكد صديق مقرب جدًا من رئيس الوزراء رفض ذكر اسمه بالكامل بأن الألم قد اعتصر قلب دولته، وأن عينيه قد اغرورقتا بالدموع لاضطراره آسفًا لإرسال هؤلاء اللاجئين المتمردين إلى حتفهم مرة أخرى، وأكد أنَّ دولته يقدم التعازي لأسر هؤلاء الشهداء الزعران سلفًا إن بقي أي أحد من أقاربهم لتعزيته في المستقبل، سواء من داخل المخيم أو في الأراضي السورية المحتلة، متمنيًا لهم أحر وأخلص أمنيات التوفيق.

المبعدون، أكدوا بأن استبعادهم من منتجع الزعتري قد وقع ظلمًا عليهم، وأنه سيكون مؤقتًا وأنهم "نادمون على تجاوزهم القانون".

وذكر أحد شهود العيان، أن وجوه وأيدي وأرجل واق.... وشيوخ وكبار منتجع الزعتري ممثلين عن أسرهم أطفالًا ونساءً وجميع المنتجعين، قد قدموا رسالة شكر وامتنان لدولته على إجراءاته السديدة باستبعاد هؤلاء "الزعران"، وإرجاعهم إلى جحيم الحرب، مثمنين للحكومة صبرها على التجاوز الحاصل من هؤلاء "الهمل"، الذين حكم عليهم بالموت رميًا برصاص الشبيحة الرحيم. مع تأكيدهم على أن منتجع الزعتري، وبكل وسائل الرفاهية المُعدّة فيه، سيبقى كما عهدته الحكومة منذ تأسيسه مثال الانضباط والامتثال، آملين من دولة الرئيس تمديد فترة إقامتهم لعام آخر.

من جهته، وضح مسؤول الأمن السوري الشبيح، أن المستبعدين سيتم معاملتهم معاملة إنسانية، وحسب نظام الشبيحة المعمول به حاليًا، وبما يضمن أن يكون موتهم مطمئنًا وبدون أي تعذيب.

نسيت أن أذكر بأن المئتي مستبعد، وقبل مغادرتهم الحدود، قد أقيم على شرفهم حفل استبعاد تخلله رفش بالبطون، وشلاليت على الخواصر، وهراوات على الرؤوس، ولم يخلُ الحفل أيضًا من الغازات المسيلة للدموع.

2012 /8 /30

حراك "لقمة العيش"

منذ أن سمعت عن خبر رفع الأسعار منذ يومين، وأنا ممتقع الوجه، كئيب.

خرجت أمشى لعلى أفرغ من همى قليلًا، صادفت في السوق أناسا لا أعرفهم، رجالًا انحنت قاماتهم، نساءً اسودت وجوههن، شيوخًا تضاءلوا واختفت هيبتهم، وأطفالًا كهولًا خلت الوداعة من على وجوههم، كانوا يمرون من أمامى كأطياف عاجزة، ويظهر الأسى والإحباط على محياهم كمئزر طرزته جنيات الليل المستورة حولهم وهم نيام.

تلتقى عيوننا سريعًا بلغة مقروءة تمامًا: أن كلنا في الهم شرق، وتهمس العيون أيضًا: ونحن كذلك مثلك: لدينا أطفال وأعباء مدارس، وفواتير متراكمة، وديون طال صبر أصحابها علينا، ويعلو صراخ العيون: بأنّ لقمة العيش هى الخط الأحمر الذي يجب أن تخشاه الحكومة، وليست صالونات السياسة أو قواعد لعبة لا علم لنا بها.

تقول العيون أيضًا: أنْ أعوذ بالله من القهر وخاصة قهر الرجال.

مرة أخرى تنسحب أطيافهم من أمام ناظري وتطأطئ العيون نورها وتغيب.

لوهلة، أحسست بأننى أعرف جميع من مرَّ حولي، فهذا "محمد" عامل النظافة ذو البزة البرتقالية، وهذا "عمر سائق التكسى الصفراء"، وبجانبه يقف "أحمد المواسرجى"، ويأتي "فتحى الدهين"، و"معتصم صاحب المقهى"، وزيد وعمر... وكلّهم أبناء هذا الوطن، وفجأة تتحول الأسماء المجهولة إلى أشخاص يعرفوننى وأعرفهم تمامًا، وهاهم يقتربون منى، ويمسحون دمعتى، ويلكزون أقنعة الخوف بأيديهم، وتبيض وجوههم كما كانت، يتوافدون من إربد والرمثا وعمان والكرك ومعان والعقبة والطفيلة.

يهتف الجميع بقلب واحد: أصبح الآن لنا حراك، حراك "لقمة العيش"، حراك من لا حراك له، ومن لا سند ولا قانون ولا دولة تحميه أو ترعاه، حراك "أنني مظلوم في

بلدي"، وأننى غريب مثل طائر مهاجر، حراك تجمعه مصلحة وطن، سلب الغرباء خيراته وعاث الفاسدون به.

فتهانينا أيتها الحكومة الرشيدة، لقد خلقت للتو بقراراتك المتخبطة حراكًا شعبيًا جديدًا.

يا حكومة، نحن حراك أقوى من كلّ الحراكات التى مرت على الوطن، لسنا حراكًا يطالب بتغيير دستور أو قانون أو حماية فئة معينة على حساب فئة أخرى، ولا نبتغى منصبًا أو مكافأة من سارق مأزوم، لسنا حراكًا يطالب بجوازات سفر حمراء، أو قصور مخملية، أو سيارات "مرسيدس" فارهة لتجثم أمام بيوتنا كدمامل فاسدة، لسنا حراكًا يطالب بتخفيض رسوم على أموال غسلت بالحرام، أو توفير برك سباحة للاسترخاء والتمطى، أو حماية شركات مأفونة بالملايين، بنيت من دم وعرق العمال والكادحين.

نحن الكادحون أنفسهم، ودرة هذا البلد بعمّاله وفقرائه وحراثيه وزراعيه "ورعيانه"، وحراكنا هو من أجل فاتورة الدواء والكهرباء والغذاء، ونقطة الماء وحليب الرضع، وأقساط المدارس التى لم تدفع بعد، وبلد ضاعت مقدراته "بكبسة زر" وهمى، وبساط ينسحب من تحت أرجلنا بمؤامرة مدروسة، وحملة تفكيك واسعة لهذا الوطن.

نحن المرابطون الصابرون على الضنك، وحراكنا لا يفض بالهراوات والغازات المسيلة للدموع، فدموعنا سالت منذ أن امتهنت جيوبنا، وسرقت لقمة عيالنا، ومنذ أنْ سلمنا أمرنا للمجهول فسلبها الطغاة، وعاث بها المتنمرون عربدة وعهرًا وكيدًا.

حراكنا لا يحتاج حزبًا لينظمه، ولا إلى مواثيق لتجمع شمله، ولا وقت ليلتئم بمحدداته، ولا مكان ليعتصم به، هو منظم بذاته وبفطرته وبوصلته واحدة لا تبديل عنها، هى عزة الوطن، ونصرة المظلوم، وإرجاع الحقوق إلى أصحابها، حراكنا يجتمع على شيء مقدس، وهو أنْ يبقى الوطن حرًا وعفيفًا، وأن الصمت – وإن طال– فإن الفرج آت لا محالة.

نظرت من حولي. كان الجميع منشغلًا بانتشال حوائجه من السوق على عجل واستحياء، غابت الأطياف الخجلى مرة أخرى، وابتلعتهم عتمة السوق وغلاء الأسعار ولهو العيش.

طفقت عائدًا من حيث أتيت، مخلخل الفكر، ملعثم اللسان، لا حراك يسعفنى أو حكومة ترحمني.

2012/9/2

حقوق الجَرّة

أكاد أجزم بأنّ ثمة عشقًا خفيًّا بين الحكومة و"جرة الغاز"، علاقة مشبوهة لا ترى بالعين المجردة، فجميع الحكومات وعبر مرّ السنين، احتفظت بهذه العلاقة قائمة، وبنفس مستوى العشق والغزل والدلال. وأستغرب الحصانة التى تتمتع بها "الجرة" دون غيرها، وكأن هناك قانونًا يحميها أو ظهرًا تستند إليه، أجل ..."جرة الغاز" بعينها ذات التاج المدور والكرش المتهدل.

وبالرغم من القساوة التى تتعامل بها الحكومة مع المشتقات النفطية الأخرى: الديزل، أوكتان بنزين وإخوانه، الزفتة الخشنة والناعمة والكاز، والتى تُعد بحكم وشهادة خبراء النفط أعز نسلًا وأغلى سعرًا، إلا أنَّ الدلال والحظوة تبقى لمتربعة القلوب وصاحبة الرائحة القاتلة.

ما الذي كان يقوله رئيس الوزراء السابق لطاقمه قبل مفاجأة رفع الأسعار على المواطن؟

- "ارفعوا الأسعار كما يحلو لكم، وافرحوا وامرحوا."

و"سيسم" بدن الرئيس أحد الوزراء ممن لم يتابعوا مسلسل "العشق الممنوع"، ويسأل: حتى "جرة الغاز" دولتك، فينفجر "مهند" بوجه الوزير الغر "كجرة غاز" لمحت عود كبريت ويرد بقهر:

- "لا يا فصيح، إلا "سمر"... هاي حصتي، سيبك منها."

لاحظوا أيضًا تصريحات وزير الصناعة والتجارة في مؤتمرات الرفع الصحفية، والتى تبدأ بالإعلان عن قائمة السلع التى سيُنتهك سعرها، وتنتهى بطمأنة المواطن بأنّ الرفع لن يمس "جرة الغاز" حتى لو كان الرفع آخر عمل في حياته.

وسينتبه الوزير بأن المؤتمر قد خُصص للإعلان عن رفع أسعار حليب الأطفال والسكر والرز والخضار والفواكه واللحوم والدواجن وتخفيض أسعار سجائر "الروثمان" ومعلبات السردين منتهية الصلاحية وملاقط الحواجب وبرك السباحة ودراجات السباق، وأن أحدًا من الصحفيين لم يتجرأ على ذكر "جرة الغاز" بكلمة واحدة، أخال أنه العقل الباطن الذي "يشتغل" هنا ويحذره من الطقطوقة المدلّلة.

حكاية العشق السابقة، دعت الحكومة لتخصيص موسيقى كلاسيكية عند توزيع "جرات الغاز" على البيوت حفاظًا على مشاعرها وقوامها الرشيق، مع تجاهل واضح لكثير من السلع الأخرى "قليلة الحيلة": الخضار والمنظفات و"الحلقوم" والملابس التى توزع بنفس الطريقة، حيث يضطر الموزع لاستخدام الزامور أو صوته الأجش للترويج عن بضاعته.

الحملات التى تطلقها الحكومة لوقف العنف ضد "جرة الغاز" أيضا تبعث على الريبة، فهى الوحيدة دون غيرها التى يخصص لها حملات خاصة لتظهر صورها على شاشات التلفازـ ويقوم أحدهم بإمساكها من أعلاها، مطلقًا النصائح التالية: (امسكها برفق، لا ترمِها من فوق الدرج، تأكد من خلوها من الأمراض، لا تدعها تنام على بطنها... تأكد من أصل وفصل بربيش الغاز المرافق لها.... الخ)، ولربما سنشهد زمنًا تقوم فيه الحكومة بإصدار عقوبات صارمة لمن يتعدى على حقوق أي "جرة غاز".

إنَّ حال ثبات وديمومة بعض الوزراء في الحكومات كحال "جرة الغاز"، التى بقيت بعيدة عن تكهنات الرفع أو مخاوفه، "فكراسى" بعض الوزراء ثابتة في الحكومة كمسمار فولاذ في جدار إسمنتى، وبغض النظر عن طول عمر الحكومة أو قصره فإنَّ أسماءهم باقية ولا مجال لتغييرها، فهل هي قصة عشق أخرى للحكومة؟

وبهذا الشأن أقول لرئيس الوزراء الجديد مناشدًا:

-"أسوق عليك الله" ... أرحنا من هذه الأسماء ولترفع "سعر جرة" الغاز كما يحلو لك.

2012/10/11

اللوّيح

تعلّمت "الدحّية" منذ نعومة أظفاري، لا أذكر كم كان عمري آنذاك، لكنني بكل تأكيد لم أتجاوز الخامسة، عندما أصبحت ضليعًا بفنونها المهيبة، ولمن لا يعرف "الدحية"، فهي رقصة جماعية لا يصلح فيها الرقص المنفرد، ولا يضطر المرء أن يبذل جهدًا خارقًا للمشاركة بها، فرأسمالها تصفيق بإيقاع متوازن مع لحن الغناء، وتمييل قليل للجسد قد يتطور إلى اهتزاز متكرر وحسبما تقتضي الحاجة، ويصاحب ذلك ابتسامة عريضة لمن يحاذيك في الرقص، ونحنحة متواصلة وزفير محموم بأحرف الدال والحاء والياء.

ما يلفت النظر في "الدحّية"، هو لزوم وجود شخص أمام الصف المنعقد بانتظام، وهو يتنقل مترنحًا وراقصًا بحرية من بداية الصف إلى نهايته، وتتدرج مهامه الرئيسية وحسب قوانين الرقصة في التلويح بيديه يمنة ويسرة والاستعراض بسيف أو عصا أو ما تطاله يداه، في دلالة على احتراف الرقص، بالإضافة إلى بعض المهام الفرعية كبعث الحماس في الصفوف من خلال الاستفزاز المباشر للراقصين، وشحذ الهمم، وزيادة التصفيق والزغردة، وقد يستفزك بنظرة ساهمة إذا سكنت قواك أو زلت قدمك، وهي إشارة ضمنية بضرورة تصحيح حركة يديك أو زيادة الإيقاع أو خفضه.

حركات "اللويح" إذا جاز تسميته بذلك، تتغير وفقًا لإيقاع الغناء وردود فعل الراقصين وسكناتهم، فرفع اليدين أو خفضهما، وحركات الرجلين، ليست وليدة الصدفة؛ بل تأتي كخبرة متراكمة لا يستهان بها، والملاحظ أيضًا أنَّ دور "اللويح" برقصه الانفرادي - وبالرغم مما يبدو عليه من أهمية- إلا أنّه يعتبر مكملًا للشكل العام، وأن غيابه أو عدم وجوده، لا يفسد الرقصة ولا يقلل من هيبتها.

لا أدري لماذا كلما شاهدت أحد خطابات رئيس الوزراء أتذكر منظر "اللوّيح" في رقصة "الدحّية"!

لاحظوا حركات يديه التي لا تنتهي عند الحديث، والتي تشي بصلة مشبوهة له بالتلويح، فإذا كان الموضوع متصلًا برفع للأسعار فإن التلويحة تكون بخمسة أصابع وباستخدام كلتا اليدين، أما إذا كانت الانتخابات هي موضوع الحديث، فإنه يعمد لاستخدام تلويحة يده اليمنى وكمن يقطع بالسيف، وتكتمل دلائل التلويح عنده في حال التهديد والوعيد، فهو يفرد أصابع يده الثلاثة ويضم الآخرَيْن على شكل دائرة ملوحًا بيده بشكل فعال مع كل كلمة يقولها، التلويحة الوحيدة التي يستخدم بها إصبعًا واحدًا، هي عندما يتحدث عن أحد إنجازاته أو سيرته الشخصية .

مع كلّ كلمة هنالك تلويحة، ومع كلّ تلويحة هناك رقص منفرد، ومع كلّ انفراد هنالك قرار متسرع واستفزاز للشارع، ومع كلّ استفزاز هنالك تقويض للفرحة وقهر محموم يتزايد بأحرف الخاء واللام والصاد.

أترى، لهذا السبب أخفى الرئيس عنا إحدى أهم خبراته السابقة..."التلويح"؟؟

5/ 12/ 2012

"ماكو داعش"

الصورة التي أظهرتها كاميرات الصحافة لسائق الشاحنة الحمراء القادم من جهة الحدود العراقية، والذي التف من حوله الجميع؛ للسؤال عن أحوال العراق، وتحركات داعش وأخواتها، ذكرتني بمرحلة أولى من التاريخ السحيق، حيث كان القوم المتحاربون ينتظرون قدوم الفارس على مشارف المدينة، وقبل أن يترجل من فوق حصانه المنهك يبادر أحد الحراس بسؤاله:

- أخبرنا يا أخا العرب عما وراءك!

ويلتقط الفارس أنفاسه، ويخفض رأسه ليصير بمحاذاة رأس فرسه دلالة على أهمية ما يحمله من أخبار، والجميع منصتون له وأياديهم فوق سيوفهم، ليهمس أخيرًا بصوت مرتجف:

- لقد حشد لنا كسرى ثلاثة آلاف جندي، وأعدّوا العدة وسدّوا المنافذ والطرق.

وفي هذه اللحظة بالذات، ينتفض أحد محاربي (تغلب) الملثمين، مُشهرًا سيفه أمام الجميع وملوحًا به ومهددًا العدو:

- والله لنرينهم أشد البلاء، ولنذيقنهم طعم الحرب على أصولها.

سائق الشاحنة الحمراء الذي لم ينتظر الصحفيون نزوله من مركبته، أطل برأسه ليطلق كلمتين باللهجة العراقية:

- ماكو داعش!

طيب.... إذا لم يكن هناك وجود لداعش، لماذا لم يفند وزير الإعلام والناطق الرسمي باسم الحكومة ذلك؟ ولماذا التهويل والعويل بوجود تهديد للحدود؟ وإذا افترضنا أنّ سائق الشاحنة لم ينقل الحقيقة كاملة، وأن قوات داعش أشباح لا تظهر للمارة لكنها تظهر للحكومات فقط، فلماذا التفت حوله وسائل الإعلام ولم تأخذ الصافي من وزير إعلامنا؟

الأمر برمته يبدو مستغربًا، وتشوبه فانتازيا كتلك التي نشاهدها بأفلام هوليود من سرعة صناعة تهديد على الحدود، ثم إطلاق مخاوف بامتداد هذا التهديد للداخل، والمواطن في نهاية الأمر سيقبل ما تمليه عليه وسائل الإعلام من خطورة الموقف أو سهولته، بل وسيتحدث بما سمع وشاهد دون أن يدرك حقيقة ما وراء الأكمة.

فماذا يختبئ لنا وراء الأكمة ولم تخبرنا به الحكومة؟

أطفئوا التلفاز، فهذا الفيلم ممل وطويل.

2014 /7 /3

معارضة

قبل يومين فقط، أدرك "أبو مرزوق" وبدون قصد أنه غير معارض البتة، وأنه يعشق "التوافقية"، وأن دماءه تجري بزمرة "اللامعارضة البحتة"، وأنه "منتمى" حتى النخاع، وبقليل من الدهاء خلص بأن "نفي النفي هو الصواب".

فرحًا كان بهذه النظرية التى توصل إليها بعد المشاركة بأكثر من مئة اعتصام ومسيرة مضادة تعددت أغراضها ونواياها: إنقاذ، إنعاش، عودة، تصميم، تأبين، تدشين.

أخرج كراسًا صغيرًا من جيبه العلوي، ثم سجل على صفحة فارغة حراكه لهذا اليوم:

- الساعة التاسعة صباحًا: المشاركة في مسيرة مناهضة لمسيرة "ضد الغلاء وقلة الكلأ"،
- الساعة الحادية عشرة: وقفة احتجاجية مناوئة لاحتجاج الصحفيين على تكميم الأفواه....
- الساعة الواحدة: تخريب اعتصام طلاب الجامعات لإسقاط اتفاقية وادي عربة.
- الساعة الخامسة: إلقاء خطبة عصماء ضدّ "مضربي شركة الفوسفات".
- الساعة السابعة: قيادة مسيرة ضدّ مشجعي فريق "ريال مدريد".

بعد خروجه من بيته مباشرة، انطلق إلى دوار الداخلية، انصهر في قلب حشود المعتصمين الذين هتفوا: بلا لغلاء المعيشة والأسعار، وكان يردّد هو: نعم، كان ذلك يشعره بسعادة غامرة منقطعة النظير، متعة أن تكون "معارضًا لمن يعارض".

استمر الاعتصام لما يقارب الساعتين، ثم عرج بعدها إلى خيمة الصحفيين في شارع الصحافة، كان يرقبهم عن كثب وهم يعزون بعضهم بموت كائن وهمى أسموه "الحرية"، وانقضاء عهد السقوف المرتفعة... لو يعرفون كيف كانت حريتنا بالماضي...

كنا نخشى أن يضبطنا الأستاذ في الصف متلبسين بكتابة كلمة على اللوح الفارغ أو تدخين "سبروسة" ... يريدون الآن "حرية" في زمن قلَّ به الأدب.

حدث أبو مرزوق نفسه ممتعضًا ومغادرًا الخيمة.

كان الطريق لحراكه الثالث مزدحمًا على غير العادة، انتظر "أبو مرزوق" لما يقارب الساعة قبل أن يصل لمبتغاه، لعن الاعتصامات بسرّه، ثم ركن "بكبه الدبل كمين" على ناصية الشارع مترجلًا يقصد مكان تجمهر الطلاب.

عجّ المكان بطلبة من مختلف الجامعات الذين رفعوا شعارات قرأها أبو مرزوق بتندر واستخفاف:

"إصلاح النظام غاية لا بدّ من تحقيقها".

"الفساد والمفسدون شوكة ضدّ بناء الوطن".

"البلطجة المنظمة" وغياب الحكمة هي سبب تراجع الأمم".

أحسّ بغضب شديد عند قراءة العبارة الأخيرة، أكمل القراءة على مهل:

"تسقط اتفاقية وادي عربة".

حاول تذكر مغزى هذه الاتفاقية أو وقت حدوثها لكنه لم يفلح بذلك:

- "لربما إنها اتفاقية "سايكس بيكو نفسها".

كان حنقه يزيد كلما تابع القراءة...

ما الذي يريده هؤلاء الصبية من هذا الوطن؟ إنقاذ... وأنقذوه، فماذا بقي بعد؟

انتهز فرصة اصطدام أحد المعتصمين به عن غير قصد ليوجه له لكمة في خاصرته، تجمهر الناس حولهما وفرقوا "أبو مرزوق" عن الشاب الضعيف، لكن أبو مرزوق انقض عليه كثور جامح، كان يشعر بفورة غضب عارمة منعته من التوقف عن الركل والرفش لأكثر من ساعة.

عندما انفضت المشكلة، كان يشعر بهيبة لم يعهدها من قبل، أحس بقامته تعلو لتطاول البناء المقابل له، نظر لضحيته، كان شابًا في منتصف العشرينيات، لم يسعفه غضبه حتى النظر في وجه غريمه، اقترب قليلًا منه، بقع الدم غطت قميصه ومنتصف جسده، كان يقعى على الطريق العام مسجيًا كمن دهسته حافلة.

لم يدر أبو مرزوق لم انتفض قلبه لمرأى الشاب مرميًا بلا نفس ولا معين. تفحص أبو مرزوق الجثة أمامه، لم تبدُ غريبة عنه ... اقترب منها، أمسك رأس الشاب المغشى عليه، فتح عينيه على اتساعهما... لقد كان ابنه "رزق" بشحمه ولحمه. جزع، أحسّ بقلبه قد انتزع من محلّه، وأنَّ الدنيا انفجرت في وجهه.

أسند رأس "رزق" على صدره، محتفيًا بنظرية لم يكتب لها النجاح.

2012/10/8

الحمار يعلو

لم يجد أبو مرزوق أفضل من الحمار كشعار لحملته الانتخابية القادمة، أمضى نهاية الأسبوع كلّه في اختيار هذا الاسم الجنوني، كمن يختار اسمًا لمولوده الجديد، لم يترك أحدًا بالقرية ولم يسأله عن اسم مقترح للحملة، لكن الأسماء المقترحة لم تقنعه : قمر، غليون، نجمة، دجاجة، مفتاح، مفك، منخل، شمعة، "قنوة"، .."حصيني"...، حتى منصور الأهبل اقترح عليه أن يسميها "معجونه"، كان الحمار هو الأكثر حظًا لدى أبو مرزوق والأقرب لقلبه، ولخبرته الطويلة مع الحمير وشؤونها، فقد استقر به الرأي على هذا الشعار، وأن يتم إعلانه على الملأ في اجتماع طارئ مع كتلته الانتخابية، وأن يلصق بجانب كل دعاياته الانتخابية ومقابلاته المتلفزة.

كان خروجه من السجن بعفو عام ضربة قاصمة لكل أعدائه، أما إسقاط التهم المسندة إليه، فقد هزّت كل المخاتير في القرى المجاورة: غسيل أموال، استثمار الوظيفة العامة والإثراء بغير وجه حق، كلها ذابت بقرار القاضي، صار صبورًا كحمار أخضر تقطعت به السبل ولم يجد له معينًا، فلم لا يكون شعاره الآن؟ حتى أقرب الناس تشفّوا به، ودّ لو يستطيع الخروج من أول يوم لاقتلاع عيونهم واستلاب أموالهم مرة أخرى، لكن صبره لم يذهب سدى، فقد أعد الخطة وعقد العزم على الترشح والفوز بالانتخابات.

كتلته الانتخابية التي أعدها بعناية تكونت من خمسة عشر اسمًا، تعمّد أن يختارهم عن سوء طالع ومن ذوي التعليم المتوسط، وممن تنقصهم الكفاءة والخبرة، لا بل إن بعضهم كان من أصحاب السوابق والجنايات الكبرى، وأشيع أن أحدهم يعاني من مرض نفسي مزمن، لكن... وكما يقول المثل "اللي تعرف ديته ... طخه": مسلم أبو عيون، مية ألف. مراد الحقنة، سبعين ألف، معمر الحراث، خمسين، متعب القزعة، ثلاثين، معيوف الصفاة، عشرين، أما باقي الأعضاء فقد قبض كل واحد منهم عشرة آلاف دينار لقاء انضمامه لكتلة المختار.

فوزه في الانتخابات يتطلب أن تكون "الجيبة عمرانة"، وأن يتمّ استغلال كلّ مناسبة سعيدة أو محزنة لإعلان اسمه، وهذا سيكون مكفولًا بهدايا تقدم لكل من زار مقره الانتخابي، وتوزيع اسطوانات غاز مجانية لأهل القرية بشكل مستمر لغاية يوم الانتخابات، عوضًا عن مغلفات النقود التي تعطى لكل من يسلم بطاقته الانتخابية لعصام النمس، منسق حملته الانتخابية، أما المفاجأة التي صعقت الجميع فهي زيارات كبار الوزراء السابقين ورجالات الدولة لمقر أبو مرزوق الانتخابي.

كان أهل القرية ينتقدون المختار في الصباح، ويتهمونه باستخدام المال السياسي في حملته الانتخابية، لكن أعينهم كانت تلتقي في المساء بشكل خجول تحت قبة خيمته التي تكتظ بالحضور، وفي نهاية السهرة، كانت أياديهم تلتف حول أطباق المناسف التي كان يعدها لهم وبشكل يومي، وتنطلق ألسنتهم بعدها بالدعاء له بالتوفيق.

أما قلوبهم فقد انتفضت في يوم الرابع والعشرين من كانون الثاني، عندما انطلقت زغرودة من بيت المختار صاحبها إطلاق كثيف للعيارات النارية مؤشرة بفوزه كمرشح نيابي في المجلس السابع عشر.

خرجوا للشارع المقابل لمقره الانتخابي، انتظروا لساعات عديدة لتقديم التهنئة والتبريك. لكنهم لم يفلحوا بذلك.

وحدها كانت صورة الحمار تعلو أمامهم ... صبورًا ومبتسمًا.

2012/12/22

سُجونٌ مُلونة

بدون جدوى، ذهبت محاولات "أم مرزوق" أدراج الرياح؛ لثنى المختار عن سرقاته المتعددة من صندوق بلدية القرية، وتزويره لانتخابات مجلسها، ناهيك عن صفقاته المشبوهة لأراضى القرية وسمسرته التى حولت أهل القرية إلى غرباء، حَلَّفَته بكل الأولياء والأئمة الصالحين أن يكفّ يده عن أموال اليتامى والمساكين وفلاحى القرية الذين استأمنوه على أموالهم، وأن يُعفف بيته بالحلال والمال الحسن، لكن "أبو مرزوق" كان كلما زادت سلطاته زاد طمعه وفساده، وفاحت رائحة جشعة الذي لم ينته إلا في اليوم الذي قررت "أم مرزوق" فيه فضح أمره والإبلاغ عن كل أمواله المنهوبة التى لطّخت سمعة العائلة والعشيرة.

اعْتُقلَ "أبو مرزوق" بعدها بالجرم المشبوه، وحُكم عليه بالسجن لثلاث سنوات لم تشف غليل أهل القرية، الذين ذاقوا الأمرّين من سرقاته وفساده الذي أورثهم الفقر والعوز. كان الجميع يدرك أن مدة الحكم قليلة بالنسبة لسرقاته التى أنكرهها جميعًا يوم محاكمته، كانوا يعلمون أيضًا أنه وبحكم علاقاته على أعلى المستويات، سيقيم في أرقى السجون وأفخمها، وسيكون مُعززًا مُكرمًا.

سِيق "أبو مرزوق" ببدلة زرقاء مخفورًا إلى السجن الذي لا يبعد بضعة كيلومترات عن قصره، الذي لم ينته من بنائه بعد، كان ما يزال كما عهده الناس، صلدًا متعجرفًا وذا لسان سليط.

خَوفه من السجن والزنازين المُقفلة بإحكام زالَ بمجرد دخوله لقرية "الرميمين"، تمحّص "المختار" جيدًا سجّانه الذي ارتدى بزّة عسكرية أنيقة، "هل تأمر بشيء أبو مرزوق"، قال السجّان مبتسمًا، "ها...، أتكون هذه نكتة من أحدهم؟"، حَدّث نفسه، ثم مدَّ يده بخمسين دينارًا التقطها السجّان بمهارة عالية ثم أودعها بجيبه؟ "إلى أين نحن ذاهبون يا ابن العم؟".. قال "أبو مرزوق"، وقد انقشعت عنه صُفرة الخوف. التفت

السجّان إليه هذه المرة ثم "تأ تأ" كخادم مطيع: "إلى سجن "الرميمين" الجديد يا مختار المخاتير".

نظر من نافذة الزنزانة المتحركة، كانت الأشجار تحيط بالسجن من كل صوب، أصوات العصافير حوله ذكّرته برحلات الربيع التى كان يقضيها وسط مزرعته، كانت شلالات المياه تزيد المكان من حول السجن سِحرًا وتُحيله إلى جنّة من قصص الخيال، اعتلى السجن قمة الجبل كَدمّلة حَفرت منتصف رأسه، وشتّتت تسريحة شعره، بينما قبعت بيوت أهل قرية "الرميمين" في أسفل الجبل كعلب كبريت لوثها نتوء السجن وجبروته.

اقتربت سيارة السجن من الباب الرئيسى، فهرع اثنان من الحرس لاستقبال النزيل الجديد، كان البناء شاهقًا كفندق ريفى لأصحاب الشهرة والملايين، الأزهار افترشت جانبى السجن وزادته "حَلاه"، والأشجار كست ردهاته الخارجية. اقتاد الحرس "أبو مرزوق" للبهو الرئيسى الذي أفضى إلى ثلاث صالات بألوان مختلفة: أحمر، أخضر وأزرق، وقف موظف الاستقبال في مقدمة الصالة الزرقاء مُرحبًا بقدوم "أبو مرزوق"، لكن المختار وقف مندهشا كصنم مُصمت أمام الصالات ذات الألوان الزاهية، ضحك موظف الاستقبال، ثم وجه كلامه "لأبو مرزوق": يؤسفنى أن حجزك سيكون في الجناح الأزرق المخصص لأصحاب السعادة، الأجنحة ذات الألوان الحمراء والخضراء مُخصصةٌ لأصحاب المعالي والعطوفة.

أحمر، أخضر، أزرق... نتمنى لكم إقامة طيبة.

2012/12/2

القُمَّرْجي

اعترى أبو مرزوق شعورا مُحبطا عندما ألغيت اتفاقية الكازينو، لعن كلّ الأيادي التي أسهمت بإفشالها، كان يحلم بأن يكون لدى المسؤولين جرأه لتأسيسه على أرض الوطن، وأن لا يضطر للسفر خارج البلاد للمقامرة، فالنقود التي يخسرها بالخارج جديرة بأن تكون على أراضي البلد.

في بداية إدمانه على اللعب، كان يخفي الأمر عن أهل بيته، لكن أم مرزوق كانت تلاحظ اختفاء النقود بعد كلّ سفرة له، تجرأت مرة وفتحت معه الموضوع، فرمى يمين الطلاق عليها ثم أرسلها إلى بيت أهلها على الفور، كان كثير الترحال والمصاريف، وتصيبه حالات نزق شديدة كلما تذكر خساراته المتكررة، التي استنزفت أمواله وأموال أهل القرية، الذين استأمنوه عليها كرئيس للجمعية التعاونية. جالت به الذاكرة عن آخر لعبة خسر بها، فرمى العقال والشماغ جانبًا ثم خلع عباءته، كان يحمل بجيبه ثمن قطعة أرض حاكورته: خمسة وعشرين ألفًا، لعب يومها حتى آخر شبر من حاكورته.

عندما نفدت منه النقود، تسللت يداه إلى الأراضي المشاع بينه وبين إخوته، فباع معظمها ولم يترك غير القطعة التي تحمل بيت العائلة، وعندما خسر مرة أخرى، لجأ إلى أساور ذهب أم مرزوق، وبعد أنْ اكتشف إسماعين النمس إحدى صوره في الكازينو، ذاع سرّه بين أهل القرية، حتى غدا شغلهم الشاغل وحديثهم اليومي.

شعوره بالكره ضدّ أهل القرية تأجَّج بعد أن أصبحوا يلقبونه "بالقمرجي"، عرف ساعتها أنَّ الدواء يكمن في الداء، وأنَّ إنشاء كازينو ليس معجزة خارقة لتحقيقها، مؤكدًا لنفسه بأنَّ أهل قريته كقطيع أغنام يتذكرون اليوم وينسَون في الغد.

في صباح رأس السنة الجديدة، أفرغ أبو مرزوق الدكان من البضاعة، ثم ملأها بكراسي وطاولات للعب وبعض الزينة والمرطبات، وقام بتوزيع علب "الشدّه والزهر"، ولم يصدق أحد عينيه عندما علق يافطة مكتوبًا عليها:

" كازينو الأردن الجديد" وبجانبها بخط رقعي: الكازينو الأول في المملكة.

استهجن رجال القرية إنشاء بيت للقمار في القرية، وكان تأسيسه كالمصيبة التي حلّت فوق رؤوسهم، تجنبوا الكلام عنه أمام عائلاتهم، حتى إذا ذكر أحد الصبية سيرته، غيروا الموضوع مباشرة.

بعدها قاطعوا الحديث مع أبو مرزوق أو السلام عليه، حتى إنَّ إمام المسجد اعتبره خارجًا عن الملة، وأن التعامل معه أو الجلوس في بيت القمار خاصته معصية بحدّ ذاتها، أمّا النساء وعند المرور من أمام باب الكازينو فكن يغطين وجوههن خجلًا ويسارعن الخطى كمن مسّهن الجنّ.

كان الفضول يقتل أهل القرية يومًا بعد يوم؛ لمعرفة سرّ الكازينو، فيقتربون من ناصيته هنيهة ثم يقفلون عائدين من حيث أتوا، رصدوا عدد زواره كلّ يوم، واحترقوا لمعرفة سبب الضحكات المجلجلة في الداخل.

لم تمض أشهر قليلة، حتى اعتاد الآباء والأمهات جلبة الكازينو، الذي وسعت جدرانه ليشمل بناء الجمعية التعاونية، أمّا صخب زواره وألعابه، فقد غدت حديثهم الشاغل في مجالسهم، ولينشق بعدها أولاد سعيد أبو راس، وليسهروا في الكازينو حتى مطلع الفجر، وليلحق بهم أبناء الحاج مبروك وأبناء أخته، ولم يستطع الإمام ذاته منع أبنائِه من زيارة الكازينو.

كانوا يتسربون واحدًا تلو الآخر نحو الكازينو، ثم ينتظرون دورهم للدخول، الأولوية أعطيت لكبار السنّ ووجهاء العشيرة وللمخاتير من القرى المجاورة، ثم يأتي دور الشباب بعدهم وصغار السنّ، حتى إنَّ بابًا للنساء قد أفرد لاستقبالهن في الفترة الصباحية.

بينما جلس أبو مرزوق أمام باب الكازينو كتاجر ماشية يعد رؤوس أغنامه بهدوء.

9/ 5/ 2013

يا هملالي

ينظر أبو مرزوق في المرآة... طولٌ فارع، وجه كوجه الذئب، شواربُ منتصبة كبندقية "ميم سطعش".

عيون تبرق، تكشيرة متعوب عليها، تذل من يعاديها، هيبة مسؤول..!!

"ها ... أيووه. هيبة وزير والله.

هكذا كان يُحدّث نفسه بصوت مسموع لمن يجاوره، حتى حفظ كل أبنائه وجيرانه وأحباب جيرانه أوصافه التي يحب أن يطلقها على نفسه.

أمّا أمّ مرزوق، فقد كانت تتنهد عند سماعها لنفس الأسطوانة كلّ يوم، وتشعر بشفقه على زوجها الذي لم يتمّ حتى "التوجيهي الزراعي" بنجاح، وتخاف عليه من حلمه الذي لا ينتهي بأن يصبح مسؤولًا في الحكومة.

تقف خلفه تمامًا ليظهر طرف ظلّها في المرآة:

- "يا أبو مرزوق، شو مفهمك بالوزارات، خليك بتجارة الأراضي والغنم والمخترة". فتتشوش لوحة أبو مرزوق الفنية متأففًا بوجهها:

- "مخترة .... والله وحياتك ما يردّ راسي غير وزارة، دولة "أبو هشيم" تاجر أراضي مُر يحفظ الوعد، آخر بيعة ربّحته فيها ملايين. والمثل يقول "أكل الرجال على الرجال دين".

يرنُّ جرس "تلفون النوكيا". يتمطى أبو مرزوق من فراشه عدة مرات غير مبالٍ بالرنات المتكررة، يصمت الرنين للحظة، فيتلفع أبو مرزوق بلحافه.

لكن الهاتف يستعيد عافيته مرة أخرى مُنذرًا بأنّ الأمر جلل.

يلتقط السماعة، ينظر إلى الشاشة، يبدو الرقم غريبًا:

- هلو .... يحشرج أبو مرزوق نصف مستيقظ.

- ألو.... حضرتك أستاز أبو مرزوء، آسفين على الإزعاج ....

يهمس الصوت الآخر نديًا ناعمًا...

يتلعثم أبو مرزوق عندها ... وتضيع الكلمات من رأسه لسماعه صوت الفتاة.

- أنا.... هوا، أيووه .... مين معي.

- إحنا الرئاسة.... دولته بده يحكي معك، بليز لحظة.

يستند من مجلسه. تزداد دقات قلبه خفقانًا. معقولة زبطت! يردّد في جوفه.

- صباح الخير مختار، "أبو هشيم" يحكي معك ...

- أبو هشيم، دولتك شخصيًا .... هلا وغلا.......يجعله صبّار بركه عليك...

- كيف الأراضي معك؟

- تمام سيدي، بدنا رضاكو ....

- أبو مرزوق، حبيبي ... دمجت وزارتين بوزارة وحدة، وسميتها "وزارة الأراضي والمراعي"، وزي ما وعدتك شاغرك محجوز، في عندك مشكلة تمسك هاي الحقيبة!

- حقيبة ... أي بمسك مدرسة بحالها، يعني وزير، أبدًا، أكيد، يخلف عليك، بس، ألو ... دولتك.

- طيب، طيب بعدين، اليوم "القسم" الساعة وحدة .... بنشوفك، سلام معاليك ...

رمى السماعة جانبًا، لم يصدق ما سمعه، اقترب من المرآة مجدّدًا وهتف بزهو: معاليك، طول فارع ... وزير وأراضٍ ومراعٍ، يا هملالي.

7/ 1/ 2013

فساد عائلي

منذ زواج "أبو مرزوق" الجديد ببنت المختار "أبو البطيخ" ذات العشرين ربيعًا والديون تتزايد وتتصاعد وتيرتها عليه؛ جرّاء طلبات العروس المدللة: سيارة مرسيدس لف، أساور عصملي، كوافير في جبل عمان، هدايا في عيد ميلادها، عباءة مطرزة بخيوط مذهبة... ولكنه كان وأمام سحر عيونها على استعداد أن يبيع لها الغالي والنفيس.

هموم عائلته القديمة التي لا تنتهي، أصبحت عبئًا لا يطاق يومًا بعد يوم، كانت العلاقات بينه وبين أبنائه وزوجته الأولى تخبو، وتتحول إلى غضب مستعر عند أي تصرف من قبلهم حتى لو كان بسيطًا، وصَاحبَ ذلك تقليلًا في المصاريف التي رأى أنها غير ضرورية، فالإمدادات وخلال ستة شهور قُللت إلى النصف ورافقها تقشف في الاستهلاك.

تناول وجبات اللحوم والدجاج اختصرت ليومين فقط، استهلاك الكهرباء اقتصر على غرف النوم والحمامات، واستبعدت الإضاءات المحيطة بالمنزل وكراج السيارة وعلى الأسطح، استهلاك الديزل تمّ إيقافه لأغراض التدفئة، والاستعاضة عنه بصوبات غاز، الاقتطاع الشهري من رواتب الأبناء تمّ رفعه إلى أكثر من النصف كمرحلة أولية قابلة للزيادة بدون سابق إنذار.

تَذمرُ "أبو مرزوق" من قلة الموارد، وضيق الحال أمام أبنائه رغم إغداقه وبكرم على عروسه الجديدة، ولَّدَ حالة من السُخط وعدم الرضا لدى العائلة، كانوا يشعرون بقلة الحيلة أمام جبروته وتزييفه للحقائق، وقدرته على إقناعهم بخصوص الديون الجديدة التي اقترضها لإرضاء زوجته الجديدة، وعندما باع قطعة الأرض المحاذية "لدكانته" كانت مؤشرًا صريحًا على بداية الإفلاس، والذي جلب مزيدًا من الاقتطاعات الجديدة من رواتبهم لإعالة أمهم.

دَعواته التي لا تنتهي لأهل القرية على ولائم دورية من أجل كيد باقي المخاتير أثارت حفيظة أبنائه وتحديدًا ابنه الأصغر "خلف"، والذي تمَّ تهديده بالحرمان من الميراث، وانتهى به الأمر مطرودًا من البيت، أما "أم مرزوق"، فقد كانت تتجنب المختار كمن مسّها الجان، "وما زاد الطين بلّه" أنه قد سجل جميع الأراضي التي ورثتها عن أبيها باسمه، حتى غدت مجردة من أي مصدر إضافي للمال.

ازدادت بعد ذلك الديون على المختار، وتناقصت غلة الدكان فباعها، ثم بدأت حملته لبيع أراضي العائلة؛ لتسديد قروض البنوك حتى استنفدت جميع الأراضي التي يملكها، ثم باع "التراكتور" و"بكم الديانا" وقلاب الحصمة"، ولكن الطامة الكبرى التي أيقن الأبناء أن أباهم قد فقد عقله على أثرها هي رهن بيت العائلة للسفر إلى "شرم الشيخ"؛ لقضاء وقت إضافي مع الزوجة الجديدة.

انتفض الأبناء هذه المرة وقرروا بالإجماع تنفيذ إضراب ضدّ "أبو مرزوق" وزوجته بمجرد عودتهم، وعدم الإصغاء إليه في أي أمر كان، وارتجاع حقوقهم التي ضاعت بإذعان منهم على كل أفعاله، التي أودت بمواردهم وأراضيهم إلى جيبه، وتركتهم جوعى لا يقتدرون على إطعام أنفسهم.

عاد "أبو مرزوق" من رحلته سعيدًا، بعد أن أنفق كلّ أموال القرض الأخير معتمرًا يد الزوجة المدللة، بينما كان كلّ الأبناء و"أم مرزوق" مجتمعين في صالة البيت، حاول رزق الكلام بنزق رافعًا شعار "فساد عائلي"، لكن المختار أخرج بعض الهدايا الرخيصة من حقيبته، ووزعها بتؤدة على جميع أفراد العائلة، الذين اصطفوا أمامه مطأطئي الرؤوس بطابور ذليل لنيل هداياهم وكلٌّ حسب رقمه الوطني.

لم ينتفض أحد من العائلة، لم يحرك أيٌّ منهم ساكنًا.

انسحبوا إلى غرفهم، منشغلين بفتح هداياهم وليندسوا بعدها تحت الأغطية ليناموا.

2012/11/24

اعتصام برسم البيع

بمناسبة الاعتصامات أمام البيوت هذه الأيام، فإنّني عقدت العزم على الاعتصام أمام بيت جاري المختار "أبو مرزوق" بياع الأراضي، الذي يدين لي بمبلغ من المال كنت قد أقرضته إياه قبل سنتين، وإيمانًا مني بحسن الجيرة، فقد قررت أن أختصر الموضوع على المطالبة بالمبلغ بدون أي فوائد، وعليه فإنَّ برنامجي الاعتصامي سيكون على النحو التالي:

أولًا: التنديد بإهماله لي كل هذه السنين، وسأكتب على ورق "كرتون" بقلم "فولماستر": يا أبو مرزوق يا مزنوق، ذوق المر مثلي ذوق"، أو ربما: "من أين لك هذا يا أبو مرزوق يا أبو شدوق"، أو "يا مختار يا مكار ظلك ظلك جوا الدار"، وربما استعنت بخطاط لكتابة هذه اليافطات.

سأهجوه بقصيدة نارية، وسأطرز شعارات لاذعة بحق الأراضي التي باعها للغرباء، واتخذ من عتبة بيته مقرّ اعتصامي المفتوح، وأدعو كل الدائنين له عن طريق الفيس بوك والتويتر لاتخاذ مواقعهم ساعة الصفر.

ثانيًا: المطالبة بعزله عن "المختره"، وكشف جميع مصادر أمواله المنقولة منها وغير المنقولة: "مكتبه العقاري"، "البكم الديانا"، "التراكتور"، "قلاب الحصمه"، "بسكليت" ابنه رزق، ماكنة الحلاقة الأوتوماتيكية التي أعارني إياها في العيد لحلاقة رأس ابني الصغير، "الخرطوش الجفت" الذي يفتخر به كأنه أحد أبنائه مطلقًا به النار في كلّ عرس.

ثالثًا: تسييج منطقة الاعتصام "بشيك" حديدي منيع كشيك الدوار الرابع، يصعب على "أبو مرزوق" وبلطجيته الوصول إليها والعبث بها، وسأعلن محمية الاعتصام كمنطقه للتجارة الحرة، بلا ضرائب أو جمارك، تباع بها أصناف التبغ و"السلفانة" والمكسرات.

رابعًا: السماح بإقامة "البسطات" والأسواق الشعبية ضمن منطقة الاعتصام، وسيتم تقاضي بدل "مساحة اعتصام" مقابل كلّ بسطة وتخضع الأسعار لمراجعة دورية بما تقتضي إليه حالة الحراك.

أخيرًا: يسمح للزوار ووكالات الإعلام والسياح بتغطية الفعاليات المقامة داخل شيك الاعتصام برسم دخول دينار عن كل فرد، على أن تكون العطلة الرسمية للمحمية أيام الجمع وفي الأعياد، وتكون أوقات الدوام من الساعة الثامنة صباحًا وحتى العاشرة ليلًا.

9/ 9/ 2012

"عـُرسٌ مكلوم"

عندما اقترب وقت زفاف "رزق"، تغير سلوك المختار "أبو مرزوق"، فمعاملته الجافة اختفت وحلّت محلّها خصال لم يعهدها أهل القرية من قبل: الطيبة والسماحة والبشاشة وحسن الضيافة، لا بل أنه أصبح كريمًا وأعفى بعض الفلاحين من الفوائد المتراكمة على قروضهم.

تحول "أبو مرزوق" بين ليلة وضحاها إلى حَمَل وديع متدلي الأذنين، يأكل الخس بدل لحوم الناس، واختفت أسنانه التى قضمت رزق الكثيرين وأورثتهم العوز والفقر. وبقدر تفاجئهم بوداعته فقد بقوا غير مطمئنين له وظلوا حذري الجانب منه.

قبل "العرس" بأسبوعين، قرر أهل القرية مجتمعين مقاطعة العرس، وعدم المشاركة بالسهرات أو أي فعالية من فعاليات العرس سواء "الدبكات" أو "السامر" أو حتى يوم الغداء، وبالرغم من بطاقات الدعوة باهظة الثمن التى وزعت عليهم، والتى تجملت بأحرف ذهبية كتب عليها:



"دعوة لحضور حفل زفاف ابن مختار المخاتير

"رزق" على صاحبة الصون والعفاف "عفاف".

وذلك لتناول طعام الغداء في بيت والد العريس المعروف لديكم

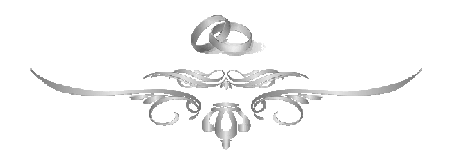
حضوركم يشرفنا ويزيد ابتهاجنا وهو واجب وطني

سيتخلل العرس مفاجآت وهدايا فلا تتردّدوا

ملاحظة: لا تُقبل أي أعذار لعدم الحضور

تبدأ السهرات يوم الأحد وإطلاق العيارات النارية وحضور الاطفال مسموح.

ودامت الافراح حليفة دياركم



إلا أن أحدًا من أهل القرية لم ينوِ الذهاب إلى عرس المختار.

أدرك "أبو مرزوق" نيّة أهل القرية مقاطعة العرس، والتى ستشكل طعنة له أمام مخاتير القرى الأخرى الذين يحسبون له ألف حساب، ولذا فقد أعد خطة لجعلهم يعدلون عن قصدهم الشائن فأشاع في القرية الآتي:

أولًا: سيدعى للحفل وزراء وأعيان ونواب حاليين وسابقين بالإضافة إلى بعض أصحاب العطوفة والسعادة.

ثانيًا: سيحيى الفنان "عمر العبداللات" الليلة الأولى كبداية، وسيطلق ألبومًا جديدًا بعنوان: "أبو مرزوق والمطر"، ومن المحتمل دعوة نانسى عجرم وهيفاء وهبى في الليالي المتبقية.

ثالثًا: ستوزع على النساء في الحفل "مطبقانيات" تحتوي على ذهب "عصملى"، أما الرجال فسيتم إهداؤُهم "عباءات" مطرزة بالحرير.

رابعًا: سيكون طعام الغداء بوفيهًا مفتوحًا ومن أجود أصناف اللحوم البلدية.

ولم يكتفِ أبو مرزوق بهذا القدر، بل جند زوجته "حفيظة"؛ للقيام بجولة مكوكية بين نساء القرية لتوزيع بعض المؤن والمخللات وعلب الجبن والمكسرات الفاخرة.

وقام هو شخصيًا بزيارة الفلاحين لبيوتهم ومجاملته لهم واطمئنانه عليهم، لا بل أنه شاركهم مرة في قطاف الزيتون.

لم يفلح "أبو مرزوق" برغم كل محاولاته أن يوصل عدد من قبلوا "العزومة" إلى عشرين شخصًا، ستكون طامة كبرى إذا جاء وقت الزواج ولم يصل العدد إلى مئتى رجل على الأقل، سيفقد هيبته وتزول شعبيته إلى غير رجعة.

امتعض "أبو مرزوق" لسلوك أهل القرية، وقرر استخدام أسلوبه الآخر، فجمع أبناء إخوته "مهاوش" و"متعب" و"صقر" و"مجحم"، ووزع عليهم "قناوي"، وأمرهم أن يحاولوا إقناع أهل القرية بالحسنى فإن رفضوا فالبادي أظلم.

أمّا من ناحيته، فقد هدد المديونين بإبراز "الشيكات" المكشوفة بلا رصيد، "والكمبيالات" المستحقة، واستخدامها لسجنهم إذا استمروا بعصيانهم عن حضور الزفاف.

ولكن نية الفلاحين للحضور لم تتغير، وقلة فقط هم الذين أعلنوا نيتهم للمشاركة.

بعد عناء أسبوع ونصف من الترغيب والترهيب، بلغ العدد خمسين فردًا، معظمهم من رعيان القرية العطالى، وعمال المزارع المأجورين، وبعض الباعة المتجولين، ممن انتهزوا هذه المناسبة لترويج بضائعهم، ونسوة مجهولة لم تعرف حتى أسماءهن.

في يوم الزفاف، جلس نفر قليل من المدعوين إلى جانب "أبو مرزوق"، كان "يهذرم" بلغة لم يفهم أحد معناها.

لم يحضر الحفل أي وزير أو عين أو نائب، ولم يوزع الذهب "العصملى" على النساء، ولم يغنِّ "عمر العبداللات".

كانت فقط أصوات "صراصير" الليل تعتلى المكان ونباح كلاب مشردة، انتظرت طويلًا نيل حصتها من غذاء لم يطبخ بعد.

2012/9/30

عسكر وحرامية

لم تنطل على المختار "أبو مرزوق " حيلة الحكومة برفع الدعم، كان يتابع خطاب رئيس الوزراء بابتسامة صفراوية عريضة، أشفق على الرجل لتناقضه الواضح في تبرير قرار الرفع ومسوغاته التي افتقرت إلى الحكمة والحصافة، تخيل أنه لو كان مكانه لكان أكثر إقناعًا، هو مختار القرية الذي لم يكمل صف الخامس الابتدائي، وكان كلما تجرأ أحد من أبنائه للتذمر حول القرار أسكته بإشارة من يده ناهرًا له بالإنصات، كان يتابع الخطاب كصحفي حريص على أن لا تضيع كلمة واحدة من كلام الرئيس.

انهمك مرارًا بتسجيل بعض النقاط على ورقة أمامه، وترتيبها حسب الأهمية، كان أبناؤه ينظرون إليه بريبة دون أن يفهموا سرّ هدوئه أمام هذا الأمر الجلل الذي سيحل بالبلاد، بينما بقي هو منشغلًا بتسجيل ملاحظاته حتى ساعة متأخرة من الليل.

في صباح اليوم التالي، شعر بارتياح غريب عندما قرأ خطته المضادة لقرار الرفع، عدل بعض الفقرات بروية قبل أنْ يطلب من زوجته استدعاء أبنائه لاجتماع عائلي طارئ.

اصطفّ الأبناء والزوجة أمامه كجنود في ساحة التدريب: مرزوق، رزق، مرشد، محمد وخلف الصغير، كان الجميع يعلم بأن المختار قد سهر حتى ساعة متأخرة في الليلة الماضية على غير عادته، وكانوا في أشد حالات الاستغراب لابتسامته التي لم تزل مزروعة بين شفتيه.

رفع "أبو مرزوق" الوثيقة أمامه وقرأ بهدوء بيانه السري.

ردًا على قرار رفع الدعم المزعوم، فإنني قد قررت الردّ على الحكومة بخطة مضادة وإيكال المهام التالية لكم وكل حسب اختصاصه:

رفع الدعم عن فاتورة الكهرباء سيكون من اختصاص "مرزوق"، وتوكل إليه مهمة إيجاد "كهربجي شاطر" لمدّ خط كهرباء من خلف "عداد الكهرباء"، وشراء أربع صوبات تعمل على الكهرباء بفولتية عالية، مع الحذر الشديد ومراعاة إخفاء الخط الجديد عن أعين الجيران ومحصل الفواتير.

رفع الدعم عن المياه من اختصاص "رزق"، وسيقوم بالتعاقد مع "مواسرجي شاطر" لمد خط مياه جانبي 4 إنش خلف العداد مع "حنفية" دائمة لسقاية "الزريعة" وملء خزانات الماء كلّ أسبوع مرتين على الأقل.

رفع الدعم عن البنزين ستكون مهمة "مرشد"، مع ضرورة التخلّص من كلّ جرات الغاز بأسرع وقت ببيعها واستغلال ثمنها في شراء بنزين مهرب لاستخدامه بدل أوكتان الحكومة 90.

رفع الدعم عن الغاز من مهام "محمد"، وسيكون المسؤول عن تقطيع أكبر قدر ممكن من الأخشاب من الغابة الحكومية المجاورة لبيت المختار، وتخزينها قبل الشتاء.

رفع الدعم عن البيض والخبز من مهام "أم مرزوق"، حيث ستقوم باستخدام الحطب للخبيز على الصاج وتربية عدد لا بأس به من الدجاج البياض.

المراقبة الحثيثة لقدوم أي محصل للفواتير بوقت كافٍ، ستكون من مهام "خلف" على أن تتم المناوبة مع أي فرد من أفراد العائلة عند الضرورة.

سيقوم "مرزوق" أيضا بالإضافة للمهام الموكلة إليه سابقًا بالإشراف على خطط الدعم جميعها، ورفع تقرير أسبوعي بالوفر المتحقق على خزينة العائلة من هذه الخطط وأي نفقات إضافية قد تترتب على تطويرها، أو أي عجز محتمل في الموازنة المحتملة لتنفيذ الخطط، كما سيكون المسؤول عن تحصيل الدعم الحكومي لجميع أفراد العائلة.

ملاحظة: تم إعداد هذه الوثيقة من قبل: ابن الوطن البار، المختار "أبو مرزوق" ردًا على خطة الحكومة الجهنمية لإفقار الشعب وتحويله إلى "حرامية"،

الشهود وحسب الظهور: مرزوق، رزق، مرشد، محمد، خلف

أمين السر وكاتمته: (أم مرزوق).

تحريرًا في ليلة الرفع. والله المعين.

2012/11/17

السيرة الذاتية

د. نائل العدوان

- قاص وروائي أردني وفنان تشكيلي من مواليد 1974.
- يحمل درجة الدكتوراه في اقتصاد الأعمال - الاتصالات من الجامعة الأردنية، ويعمل حاليًا كمدير لإدارة الاستثمار والريادة في وزارة الاقتصاد الرقمي والريادة.
- حائز على الجائزة الأولى للقصة القصيرة لرابطة الكتاب الأردنيين عام 1996 والجائزة الأولى للقصة القصيرة للجامعات الأردنية بنفس العام.
- نائب رئيس مختبر السرديات الأردني.
- عضو رابطة الكتاب الأردنيين.
- عضو اتحاد الكتاب العرب.
- عضو رابطة الفنانين التشكيليين.
- عضو بيت الأنباط.
- عضو اتحاد كتاب الإنترنت
- عضو بيت التراث والفنون.

مؤلفاته:

1-مجموعة قصصية بعنوان المرفأ عام 2013

2-ديوان شعر بعنوان نكاية بالشعراء 2015

الروايات:

3-مذكرات من تحت بيت الدرج 2014

4-غواية لا تودّ الحديث عنها في العام 2016

5-كأنه الموت صادرة في عام 2018

الكتب الاقتصادية

6-دور المؤسسة العسكرية في التنمية الاقتصادية

تحت الطبع:

7-غبار القمر، رواية.

الفهرس